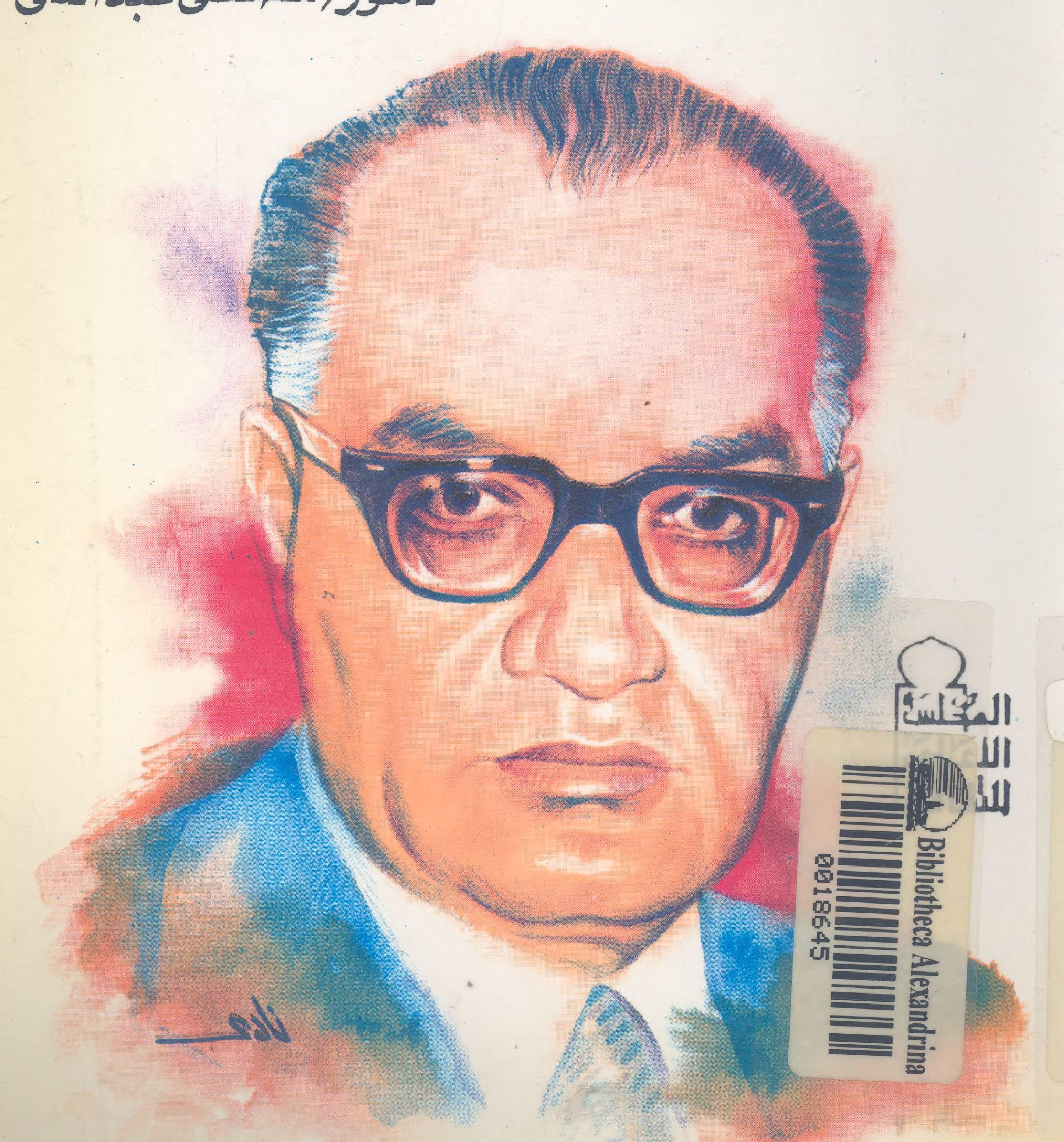
المجلس الأعلى للثقافة

اعترافات.. عبد الرحمن الشرقاوى

دكتور/ مصطفى عبد الغنى



اعترافات
عبد الرحمن الشرقاوى

المجلس الأعلى للثقافة

اعترافات
عبد الرحمن الشرقاوى

د. مصطفى عبد الغنى



١٩٩٦

المحتـــوى

قبل الاعترافات

حاولت أن أقدم هذه (الاعترافات)، كما هي..

وقد عمدت، من البداية، إلى أن أقدم النص (الخام) في صورته الأولى، كما أرجأت تعليقي عليه إلى هامش أخير، حرصت أن يكون مهمته اضاءة النص من الخارج فقط.

وإذ حاولت أن أضمن رأيي، كناقد، في كتاب سبق نشره حول (الشرقاوي متمردا) ـ صدر عن دار التعاون ١٩٨٦، ركزت فيه على الدلالة الذاتية والاجتماعية، فانني هنا حاولت أن أعمق هذه الدلالة للاسهام ـ مستقبلا ـ في الكشف عن الدلالة السياسية التي اثرت بوضوح في تكوين «الدور»، دور عبد الرحمن الشرقاوي والظروف التي اتاحت له، ليكون، أحد «مثقفي الدولة»، وأحد ناقدي التجربة الناصرية من الداخل لا من الخارج.

لقد كان كشف الدور هو الذي اهتممت به كثيرا..

وعلى هذا النحو، كان اهتمامي الأول أن يدور الحوار (= الاعترافات)، خلال عدة وحدات للكشف منها عن عدة مؤثرات:

** رصد الأصول الأجتماعية الأولى

** المؤثرات التعليمية التي تلقاها

** طبيعة التخصص العلمي

** فهم التخصص المهني

** العلاقة بين المثقف والسلطة

وكان من الطبيعى أن يكون حاصل هذه المؤثرات هو الذى يشكل الموقف الذى سعى به صاحبه (ليتعاون) مع النظام، بصورة ما، بصورة المثقف، أو الجبهوى، وفى الوقت نفسه يرتبط بعديد من الاتجاهات الرئيسية

* *

و كان اهتمامى الأساسى فى هذا السياق هو تخصيص فصل حول مسرحية (الحسين ثائرا ـ الحسين شهيدا)، وما أثارته فى السبعينات ابان نشرها ثم الاستعداد لعرضها، والضجة الشديدة التى دارت حولها، ومن ثم، عمدت إلى توسيع دائرة الأهتمام، فلم اغفل طبيعة القضية خلال هذه الاعترافات وإنما ارفقت بها عددا هائلا من الوثائق التى نجحت فى الحصول عليها، والتى تلقى ـ فى النهاية ـ بدور ثاقب حول هذه القضية وملابساتها

وهى قضية ماتزال غامضة حتى اليوم

* *

وقد وضعت شبه تخطيط فى أثناء حصولى على هذه الاعترافات كانت تتم على مدى الجلسات المتوالية التى كنت اجريها معه، فقد كنت أعمد، قبل كل جلسة، إلى قراءة (كل) ما أعثر عليه من كتابات الشرقاوى أو ماكتب عنه فاستوعبها تماما، وخلال (القراءة الايجابية) كنت أسجل مايعترينى من تساؤلات ومايلح على من حيرة بين يدى الكاتب، إذ كان يسبق الجلسة محاولة بلورة الظروف التى كانت تحيط به، ومحاولة تفسيرها خلال هذه الأجابات التى كان يجيب عنها

وكانت وسيلتى خلال هذا كله شريط (الكاسيت)

وأذكر أننى كثيرا كنت أنتهى من تفريغ الأجابات من (الكاسيت) لأعيد طرحها عليه مكتوبة ثانية، فيعيدها إلى ثانية وقد غير بعضها، وأضاف إلى بعضها الاخر، وكنت كلما القيت اليه بالكرة، سرعان مايعيدها إلى من جديد

وأذكر أن الشرقاوى ـ رحمه الله كثيرا ـ كان يستدعينى، فاذا التقيت به، كان يفاجئنى بخاطره عنت له، أو بفكرة حاول تصحيحها بعد اللقاء الأخير، أو باضافة ما حاول أن يخفيها من قبل، بل أذكر أنه كثيرا (هاتفنى) كثيرا بعد

منتصف الليل ليعيد على مسمعى حادثة لم يكن قد استكملها، أو قضية كانت قد غابت عنه فى اضابير الذاكرة.. إلى غير ذلك

وقد حرصت أن ادفع بهذه (الأعترافات) إلى المجلس الأعلى للثقافة وهى تحمل كثيرا من إضافات الشرقاوى، أو تضيف أو تسهب، حسب مقتضى الحال.

* *

بقى أن أذكر أن الفترة التى أجريت فيها هذه الأعترافات أمتدت إلى أربع سنوات:

ـــ المرة الأولى فى يوم ١٠ يوليو من عام ١٩٨٢

ـــ المرة الأخيرة فى يوم ١٢ ديسمبر من ١٩٨٦

سافر بعدها إلى الخارج لأكثر من مرة، وحين عاد للمرة الأخيرة من الأتحاد السوفيتى، عدت لأدفع إليه بهذه الأوراق/ الأعترافات ليعيد مراجعتها من جديد وأذكر أنه راجعها، بتؤدة، للمرة الأخيرة.

وأذكر أنه راح يرجو أن تنشر بعد رحيله لما فيها من أعترافات قد تثير الكثيرين، أو تجرح ممن دخل معهم فى معارك ـ وما أكثرها ـ أو تدخله ـ فى حالة نشرها أثناء حياته ـ فى معارك يتعفف عن الدخول إليها فى تلك السن.

أعبر أيضا بأمتنان شديد، عن شكرى العميق، لمن أسهم فى أخراج هذه الأعترافات الى النور، وأخص منهم الأستاذ الدكتور جابر عصفور (الأمين العام) والأستاذ لمعى المطيعى (المستشار المثقف).

فأرجو أن أكون قد وفقت فى كشف المساحات الشاسعة، الغامضة فى حياة عبد الرحمن الشرقاوى، ونتاجه الفكرى وأبداعه الخصب، وقبل هذا وذاك، فهم (دوره) كمثقف شارك فى صنع جزءاكبيرا من حياتنا فى نصف القرن الآخير فالكشف عن (الحقيقة) قصارى ما قصدت إليه هنا.

د. مصطفى عبد الغنى

«١»

الاعترافات

النشأة والتكوين

* لنبدأ من الأصول والتكوين..

ـ ولدت فى قرية (الدلاتون) مركز شبين الكوم فى عام ١٩٢٠ (على بحر شبين) وهو فرع من النيل بديع التكوين إلى درجة بعيدة، وإلى درجة أن كل من رأى هذه المنطقة التى ولدت فيها وترعرعت يشبهها ببعض البحيرات السويسرية.

فى مقتبل حياتى عرفت العلم وتعلمته، عرفت ايات قرآنية كثيرة وحفظتها، لم يكن «الكتاب» الذى تعلمت فيه مثل «كتاب» الدكتور طه حسين، بل كان عبارة عن زاوية صغيرة ملحقة بالمسجد، كما أن شيخ هذا الكتاب كان طيبا وديعا وليس كشيخ طه حسين قاسيا شديدا على طلبته.

دخلت المدرسة الإلزامية بعد ذلك بسنة واحدة. وكانت المدرسة الإلزامية بقريتى، ثم دخلت المدرسة الأولية، وكانت المدرسة الأولية فى قرية مجاورة اسمها «شبرا خلفون»، وفى هذه المدرسة عرفت الاغتراب لأول مرة فى حياتى، وأذكر أننى كنت أستيقظ مبكرا كل صباح، ومنذ السادسة، وأظل فى المدرسة حتى الثانية ظهرا، فى هذه المدرسة تعلمت كل العلوم الابتدائية العادية، ولعلها كل العلوم المناظرة للمدرسة الابتدائية، وأيضا تعلمت العلوم الدينية الأولية، فحفظت ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم، وحين كنت أعود إلى المنزل كل يوم أجد أبوى، يستمعان إلى، وكان أبى يتولى مهمة مراجعة ماحفظته ولايلبث أن يشرحه لى، بل ويختبرنى أيضا.

وأوثر أن أتوقف قليلا عند أبى لأهمية الدور الذى لعبه فى حياتى.

كان أبي مالكا صغيرا من الملاك الزراعيين في ريف مصر في هذا الوقت، وإن كان من أكبر ملاك القرية، درس في الأزهر، بل كان حلمه أن ينهي دراسته بالأزهر، غير أن الظروف لم تساعده على اتمام الدراسة لأن والده استبقاه في القرية ليساعده إذ كان المرض والشيخوخة قد نالا منه، مما حال بينه وبين تحمل مسئولية الزراعة، فتركها لأبي، الذي كان أكبر أولاد جدي..

وبعد وفاة الجد أصبح أبي وحده رب هذه الأسرة.

وقد كان أهم مايميز أبي اهتمامه الشديد بتعليمنا القيم الدينية، إذ كان يربط التعليم دائما بالقيم الدينية، وخاصة أنه كان من أوائل من تعلموا في قريتنا والقرى المجاورة لنا، وهو مايفسر اهتمامه الأساسي بتعليم (كل) أولاده حتى نهاية التعليم الجامعي[1].

وإلى جانب اهتمام أبي بالكتب الدينية التي تفتحت عيناي على كميات ضخمة منها عندنا، كان يحرص أشد الحرص على أن يحضر الصحف السيارة، وأذكر أن بيتنا كان يحتوي دائما على صحف من أمثال (الاهرام/ وإحدى الصحف الوفدية المعروفة: كوكب الشرق أو الجهاد/ ثم المصري، وإحدى الصحف المسائية: المقطم أو البلاغ... إلخ) وأذكر أنه كان يحضر الصحف ثم يدعونا ليقرأها أمامنا، ويساعدنا على قراءتها وفهمها.

وقد كان من نتيجة هذا المناخ الإسهام كثيرا في تنمية إحساسي الثقافي والسياسي والثوري منذ نعومة أظفاري.

أعود إلى فترة التكوين... دخلت المدرسة الأبتدائية بعد ذلك، دخلت العام الأول الدراسي، كان يمكن لوالدي أن يدخلني السنة الثانية لأني في المدرسة الأولية الأبتدائية كنت قد درست مقررات السنة الأولى الأبتدائية ونجحت فيها، غير أن أبي قال: لابد من السنة الأولى لتتدرج في التعليم على أساس مكين.

ودخلت المدرسة الأبتدائية في شبين الكوم في عام ١٩٢٨ (مدرسة شبين الكوم الأبتدائية الأميرية)، لأتحول بعدها إلى مصر (القاهرة) لأسكن في أقدم أحياء العاصمة، لقد كان البيت الذي أقمت فيه في القاهرة في شارع (عزيز) المتفرع من شارع سلامة امام قلعة الكبش، بحي السيدة زينب، حيث أذكر هذا الميدان

الواسع الذى تحول فيما بعد (لاأعرف كيف؟) إلى ميدان ضيق جدا، ملئ بالحوانيت والعربات والضوضاء.

لقد جئت القاهرة ولم أجاوز ثماني سنوات، فعانيت من الاغتراب للمرة الثانية فى حياتى، (المرة الأولى كانت فى المدرسة الأولية فى قرية أخرى غير قريتنا) أما هذه المرة، فقد كان الاغتراب فى القاهرة النائية عن قريتى وعن أبوى، وهى غربة كانت صعبة جدا على نفسى. غير أن أبى ـ رحمه الله ـ كان قد علمنا أن شد الرحال والاغتراب فى سبيل العلم مثله مثل الجهاد فى سبيل الله.

من ذكريات هذه الأيام أن والدى كان يزورنا فى القاهرة زيارات مفاجئة، يطمئن على أسلوب حياتنا وطريقة متابعتنا لدروسنا، وقد كانت أهم التعليمات التى كان لايتوقف عن ترديدها والإصرار عليها ألا نستذكر دروسنا فى فترة الاجازة الأسبوعية وهى تبدأ بعد توقف الدراسة يوم الخميس حتى عصر الجمعة، وكان يحثنا على الدرس والتحصيل طيلة أيام الأسبوع عدا هذه الاجازة الأسبوعية.

ومن ذكريات هذه الأيام أيضا، أننى كنت أعود فى الاجازة الصيفية إلى القرية، لأقضى الاجازة دائما فى القراءة والمناقشات حيث كانت المجالس العلمية تضم أبى وأصدقاءه من خريجى دار العلوم والأزهر ممن يزتون إلينا من البلاد المجاورة، وهذه المجالس كانت تعقد بشكل دورى.

وكانت تتميز بمناقشات واستفسارات شتى فى اللغة وعلومها وآدابها فضلا عن الدين.

أما فى القاهرة، فقد كانت حياتنا بالعاصمة منظمة بحسم وحازمة بشدة، وذلك وفق النظام الذى وضعه الأب بمنتهى الدقة، وعلى سبيل المثال، فقد كنا نتناول وجبة العشاء فى الساعة التاسعة تماما حيث نلتقى جميعا على مائدة العشاء، وقد تعودت هذا الموعد والتزمته حتى اليوم.

*** لنواصل رصد المؤثرات الأولى فى العاصمة..**

ـ فى العاصمة، كانت الحياة السياسية خصبة لجيلنا، وكانت المجلات الأدبية كثيرة، ولها قيمتها، وكان هناك الصفحة الأدبية اليومية التى نجدها فى كل

صحيفة يومية، كما كانت الكتب زهيدة الثمن، وكانت كتب التراث العربى كثيرة.

كنت فى القرية قد نهلت من السير فى مظانها الأولى ولاسيما السير الشعبية (عنترة وأبوزيد الهلالى وسيف بن ذى يزن)، وفى الطفولة حفظت شعر عنتر بن شداد كله، دفعنى هذا إلى حفظ الشعر الجاهلى لاسيما «المعلقات».

وفى العاصمة، تعرفت على ألوان أخرى من كتب التراث العربى، عرفت الجاحظ، وأغانى أبى الفرج الاصفهانى، وتعرفت على ألوان أخرى من الشعر حتى العصر العباسى، وحفظت مختارات البارودى وأبى تمام.

وفى العاصمة تعرفت على أشكال كثيرة من الكتابات الغربية، بل مارست الترجمة من بعضها، وأذكر أن شكسبير، كان مترجما، فقرأت كل أعماله بالعربية ثم بالإنجليزية وأنا فى كلية الحقوق.

لقد كنت طالبا بالحقوق ومع ذلك لم تفتنى محاضرة واحدة من محاضرات الآداب.

لقد قضيت بالجامعة وقتا ممتعا، وعرفت أساتذة أجلاء، ومن بين من تأثرت بهم هناك كل من طه حسين وأحمد أمين، ومصطفى عبدالرازق وكان يدرس الفسلفة الإسلامية، ومصطفى زيادة فى التاريخ وشفيق غربال أيضا فى التاريخ ود. عزام فى الأدب الفارسى، وأساتذة الشعر والدراما، لقد كنت أولى الآداب أهمية أكثر أكثر من القانون، حتى إذا ما كنت فى السنة الرابعة، فوجئت بحلول موعد الامتحان الذى لم أكن قد أعددت له شيئا قط، ومن هنا، كانت النتيجة الطبيعية هى الرسوب فى الليسانس (السنة النهائية) وتفسير هذا أننى كنت أتابع محاضرات الآداب أكثر من محاضرات الحقوق.

لقد كانت دراسات الفكر الغربى تعرض جنبا إلى جنب مع دراسات الفكر العربى.

كان هناك طه حسين والعقاد ومحمد حسين هيكل والمازنى وسلامة موسى.. كنا فى عصر أولئك الرواد الذين ظهروا ولعبوا دورا حيويا وهاما فى تطور الفكر المصرى والعربى، كان جيلنا مهموما بقضايا الفكر والثقافة أكثر من أى شئ آخر.

لقد كنت أحب أحمد شوقى وحافظ إبراهيم والعقاد والمازنى، وأضيق ـ جدا ـ كلما رأيت العقاد والمازنى وطه حسين يهاجمون أعمال شوقى.. وعلى الرغم من ذلك فقد كنت أحمل للجميع ذات القدر من الاحترام

لقد نشأنا مع حركة فكرية وثقافية فوارة..

*** وماذا عن بداياتك فى مجال النتاج الثقافى بعد التلقى؟**

ـ أذكر أن الفرنسية فى هذه الفترة الأولى من حياتى كانت تؤثر فىّ كثيراً، حتى لأذكر أن أول قصيدة نشرتها فى حياتى (عام ١٩٣٨) كانت مقررة علينا، وهى قصيدة لامارتين وعنوانها «موطنى» وقد نشرتها فى الصفحة الأدبية بجريدة البلاغ اليومية.

كما أذكر فى أول عهدى بالثقافة الغربية قصيدة أخرى مترجمة عن شيللى بعنوان (حجاج العالم) فى الأعداد الأولى من مجلة الثقافة.

وأذكر جيدا أن هناك قصيدة ثالثة نشرت فى هذه الفترة بعنوان (نجمة المساء) لألفريد دى موسيه.

وبهذه المناسبة لابد من إيراد حكاية بسيطة لاتخلو من طرافة.. لقد أخذت فى هذه الفترة قصيدة وذهبت بها إلى محمد حسن الزيات صاحب (الرسالة) لأنشرها، وكنت قد نشرت فى مجلته قصيدتين سابقتين أرسلتهما بالبريد.

واستقبلنى الرجل ببشاشة، رغم أنه لايعرفنى، وأخذ منى القصيدة، وبدأ فى قراءتها ـ بالفعل ـ ارضاء لخاطرى، وبعد أن قرأ القصيدة وافق على نشرها ثم مد إلى يده مودعا وهو يقول:

ـ سلم لى على عبد الرحمن الشرقاوى، وانقل له أننى أريد أن أراه.

قلت له بسرعة:

ـ أنا عبد الرحمن الشرقاوى.

نظر إلى الزيات، وسألنى فى دهشة حقيقية:

ـ انت عبد الرحمن الشرقاوى؟!..

ـــ نعم أنا هو، وأنا طالب بليسانس الحقوق.

وهنا سلمنى القصيدة قائلا فى وضوح شديد:

ـــ اسمع يابنى، لن أنشر لك ثانية

ـــ لماذا؟

ـــ لان الأشتغال بالأدب وأنت طالب لن يمكنك من إكمال دراستك.

وأكمل بسرعة:

ـــ بعد حصولك على ليسانس الحقوق، سأنشر لك هذه القصيدة وغيرها.

*** هل يمكن أن تعيد ترتيب المؤثرات الأولى فى فكرك؟**

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: الحديث النبوى ونهج البلاغة للإمام على.

ثالثا: الجاحظ

رابعا: أبو الفرج الاصفهانى

خامسا: الشعراء العرب منذ العصر الجاهلى حتى العصر العباسى والشعراء الذين دافعوا عن الحرية والعدل.

*** أريد أن أتعرف على لحظة (الصدمة) الأولى التى عايشتها منذ خروجك من القرية إلى المدينة؟**

ـــ صدمتنى المدينة بأن أهلها يشترون بعض الطعام «الخبز والجبن والبيض» وهذا مالم أعرفه فى قريتى، ثم عدم المشاركة الأجتماعية والوجدانية ففى المدينة وجدت مالم أعرفه فى القرية، الافراح تقام إلى جوار المآتم! وهذه الدهشة عبرت عنها فى قصيدة أصف فيها التجربة كلها، و(القصيدة) فى مجموعة رسالة من أب مصرى(٢).

*** الجامعة كانت بيئة للنشاط الأدبى والسياسى فى هذا الوقت..**

ماحدود علاقاتك بجيل الرواد؟ وماهى طبيعة العلاقة بين جيل وجيل تال؟

ـ لسوء الحظ لم ألتق بكل أفراد جيل الرواد وإن كنت قد تعرفت على بعضهم.. فأستاذنا الدكتور طه حسين بدأت علاقتى به فى أول تعارف بيننا. كان أول تعارف بيننا حينما نشرت ترجمة من قصيدة من شعر المقاومة للشاعر الفرنسى لوى أراجون فى الأربعينات، (الطليعة الوفدية)، فارسل إلى طه حسين يهنئنى على هذه الترجمة.

وفى أوائل الخمسينيات (فى عام ١٩٥٣) نشرت إحدى المجلات حديثا لطه حسين فكتبت تعليقا على هذا الحديث فى جريدة (المصرى)، وفى اليوم التالى، جاء د. طه حسين لجريدة (المصرى) وطلب من الأستاذ أحمد أبو الفتح رئيس تحرير المصرى أن يجمعنا. وكان معه رد على تعليقى.

ولكنى مع الأسف الشديد لم أستطع أن أتشرف بلقائه فى مكتب الأستاذ أحمد أبو الفتح رئيس التحرير، ففى هذا الوقت بالذات، جاء البوليس الحربى يريد القبض على فأخذ يبحث عنى فى جريدة المصرى، فى الوقت الذى كان يبحث عنى فيه أيضا طه حسين، وأذكر أننى فى هذا الوقت كنت قد تركت منزلى وأختفيت، وبعد عدة أشهر أخرى التقيت بطه حسين من جديد حين زرته فى منزله بالزمالك وجلسنا طويلا، وقد زودنى بنصائح كثيرة.

وأذكر أنه نصح لى بألا أعارض حكومة الثورة مهما تخطئ، وقال لى ضاحكا:

« ـ من أحمق الحمق إن تتحامق على حمقى»

وقامت بيننا الخلافات حول بعض القضايا الأدبية، وحول الموقف من المشروعات الثقافية الأمريكية.

*** أليس من الغريب أن يكون طه حسين مويدا للنفوذ الأمريكى ومشايعا له على ماأتصف به من وعى شديد؟**

ـ لم يكن طه حسين قط مؤيدا للنفوذ الأمريكى أو مشايعا له، ولكنه كان يرى ضرورة الانفتاح على الأدب والثقافة الأمريكيين.

كان الخلاف الجوهرى بيننا هو خلاف فى تقويم المشروعات الثقافية الأمريكية.

هو يراها ثقافة فى خدمة الثقافة يجب أن نستفيد بها، وأنا أرى أن اللون الذى تقدمه أمريكا من الثقافة إنما يخدم أهدافها السياسية، وهى تخفى عنا ذلك الوجه المضئ للثقافة الأمريكية، فهى لم تكن تقدم فى هذا الوقت: ارثر ميللر أو فورستر أو فاست أو هيمنجواى وسائر الأحرار من مثقفى الثقافة الأمريكية،

لماذا؟

لأن أفكارهم لاتخدم أهداف السياسة الأمريكية[٣].

غير أنه يجب تأكيد أن هذا الموقف من طه حسين لم يكن يعنى أنه يؤيد الهيمنة الأمريكية بشكلها (الإمبريالى) الجديد، لكن موقفه كان موقفا ثقافيا فكريا بحتا، وهو مااختلفت معه فيه، من أن المشروعات الثقافية الأمريكية الجديدة تحجب عنا بعض أولئك الأدباء التقدميين فى أمريكا فى وقت تقدم فيه لنا نماذج أخرى لتخدم أهدافا سياسية مكشوفة.. وهى تحجب عنا الأدباء التقدميين من المعاصرين، وحتى ممن أصبحوا من التراث الثقافى الإنسانى..

*** قد يكون هذا مناسبا لنتعرف على رأيك فى الاستعمار الأمريكى..**

فبعد «رسالة من أب مصرى..» ومرورا «بتمثال الحرية» ووصولا إلى كتاباتك وإشاراتك المتتابعة.. ترى، ماهى النقطة التى انتهى إليها موقفك الآن من هذا الأستعمار؟

ـ لايقوم الاستعمار الأمريكى على أى شكل من أشكال الاستعمار القديم. والاستعمار الأمريكى هو استعمار جديد فى شكله ومضمونه ووسائله.

والاستعمار الأمريكى اليوم يستخدم التقدم العلمى فى قمع الشعوب وابتزازها واستغلالها.

وإذا نظرت اليوم إلى أبشع صور هذا الاستعمار فى منطقتنا العربية ستجده فى مايحدث الآن على أرض لبنان، ومايحدث على أرض فلسطين، ففى الوقت الذى ترتكب فيه إسرائيل مجازرها واستبدادها بالشعب العربى، ترفض الولايات المتحدة الأمريكية إدانتها فى مجلس الأمن، غير مهتمة بالرأى العالمى، ولا حتى بميثاق الأمم المتحدة ولا الاعلان العالمى لحقوق الإنسان.

ومنذ هاجمت الولايات المتحدة الامريكية فى قصيدة (من أب مصرى إلى الرئيس ترومان) حتى الآن لم يتغير وجه الاستعمار الأمريكى، ولاأجد ثمة تغييراً يسرى فى واقع العالم العربى.

ويمكن لنتأكد من تطور الاستعمار الأمريكى وحجمه أن ننظر إلى خريطة العالم لنرى (الإمبريالية) التى تمتد وتتطور فى أشكال جديدة ومؤامرت جديدة[٤]

*** وقبل أن نعود إلى تفصيل الخلافات بينك وبين طه حسين.. ماهى أبعاد العلاقة بين طه حسين ولوى أراجون؟**

ـ أراجون كان صديقا حميما لطه حسين. وطه حسين هو أول من قدم أراجون للقارئ العربى فى مجلته المعروفة (الكاتب المصرى) فى الأربعينات.

لقد عرفت اراجون، أنا وجيلى، ولأول مرة، من خلال طه حسين ومجلة (الكاتب المصرى)، وفى وقت ماحدث خلاف مابين الصديقين، طه حسين واراجون.

*** أليس غريبا شكل العلاقة بين طه حسين ولوى اراجون، وخاصة أن هذا الأخير ـ اراجون ـ كان يميل إلى «الواقعية الاشتراكية» بشكلها المتطرف؟**

ـ لاأظن ذلك.. المعروف أن أراجون كان عضوا بارزا باللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى، ورئيسا لتحرير الجريدة المسائية «سى سوار».

وكان طه حسين يقول فى ذلك الزمان (أنا أياسر إلى أقصى اليسار)، وقد خطب فى حفل اقيم فى فرنسا لتكريم اراجون كان من أشد المعجبين به شاعرا وثائرا وبطلا من أبطال المقاومة الفرنسية، وعلى الرغم من اختلاف موقفهما السياسى وقد كان طه حسين واسع الأفق، وعلى الرغم من أنه لم يعتنق فكر اراجون السياسى، فإنه كان من أشد المعجبين باراجون الشاعر والثائر، واراجون ايضا كان يبادل طه حسين أعمق التقدير، كما كان يعتبره رائد الثقافة والفكر فى بلادنا العربية، وفى مناقشات لى مع اراجون نقد الشاعر الفرنسى مسلك بعض اليسار العربى من طه حسين، فأكدلى أن هذا الموقف من طه حسين موقف خطأ، وأن طه حسين يجب أن يحيا على مواقفه، فقلت لاراجون: إن اختلافنا فى الرأى مع طه حسين لايعنى عدم تقديره، فنحن نحترم دوره..

لقد كان أراجون الأربعينات متفتحا جدا وكان كلاالرجلين يحمل للآخر تقديرا عميقا.

*** نعود إلى قضية الخلاف بينك وبين طه حسين..**

ماذا غير الخلاف حول الموقف فى أمريكا؟

ـ كانت القضية الأخرى هى الموقف من طريقة التعبير، أريد أن أوضح قبل أن أسهب فى قضية اللغة أمرا هاما، فأنا لاأعرف كيف تعتقد أسرة طه حسين اننى ضده، لقد ظهر هذا واضحا فى حديث د. محمد حسن الزيات مع بعض الكتاب المعروفين، لقد كنت أتصور أن هذا مضى وانتهى.

هذا يحدث فى وقت كنت أختلف مع طه حسين، ومع ذلك، فأنه قامت بيننا علاقات تقدير واحترام لم يشبها أى اختلاف فى الرأى.

ونعود إلى قضية التعبير، لقد كان طه حسين يرفض كتابة الحوار بالعامية وأنا كنت أرى أن الضرورة الفنية هى التى تحدد شكل (الحوار) نثرا وشعرا، بالفصحى أو بالعامية، إنك لايمكن أن تلغى من الأدب (كل) الروايات أو القصص أو المسرحيات التى كتب حوارها بالعامية.

وخذ أمثلة على هذا، توفيق الحكيم فى كل رواياته وقصصه القصيرة كتب الحوار بالعامية، ومحمود تيمور رشح لعضوية مجمع اللغة العربية من خلال مسرحياته ورواياته ومجموعاته القصصية التى كتب حوارها بالعامية، والجدير بالذكر أنه حين فاز بعضوية المجمع وأعاد كتابة هذه الروايات من العامية إلى الفصحى فقدت اللغة أثرها.

إن المتنبى استعمل بعض العامية.

بل إن الجاحظ استعان فى الحوار بعامية عصره، والجاحظ من أهم أساتذة طه حسين(٥).

وربما كان من المفيد أن أشير هنا إلى أن العامية فى الحوار تساعد على رسم الشخصيات، ولقد استعمل فى المتن ألفاظا قد تبدو عامية، ولكنها من الفصحى الموجودة فى المعاجم اللغوية.

ثمة قضية خلافية أخرى لايمكن اغفالها، هى اتهام طه حسين لعدد كبير من الشباب فى ذلك الوقت بأنهم لايهتمون بالعربية.

أذكر أن طه حسين كتب عني وعن أبناء جيلي، فلم يرنا أدباء، بل أطلق علينا (المتأدبين) مقللا من شأننا! فرددت عليه معاتبا فرد مغاضبا، وراح يتهمنى بأننى لاأعرف العربية، وزعم أن المتأدب هو الأديب، وأتهمنى بأنى أعنى بقراءة الآداب الأجنبية دون الأدب العربى!!

فعدت إلى كل المراجع العربية، وسألت طه حسين مرة أخرى:

ـ من أين جئت بأن المتأدب هو الأديب؟ فى أى معاجم اللغة قرأت هذا؟ فرد على بشجاعة معترفا بالخطأ، قائلا:

ـ لقد قرئ على القاموس المحيط خطأ..

*** يبدو أن هذا التناقض هو السمة الطبيعية للخلاف بين الأجيال..**

دون شك، فإن طه حسين نفسه هو الذى اتهم بالشيوعية حين كتب (المعذبون فى الأرض)، وعندما اختاره مصطفى النحاس وزيرا للمعارف فى آخر وزارة وفدية، رفض الملك فاروق هذا الترشيح قائلا لمن حوله

(ـ أنتم لاتعرفون خطورة هذا الرجل، إنه الرئيس السرى للشيوعية فى مصر. والحكومة نفسها لاتعرف ذلك!)[٦].

ورغم هذا، فإن طه حسين فى أول خلاف بيننا حول الموقف الأجتماعى، اتهمنى بالشيوعية!!

أما العقاد فقد كان دائم الهجوم على أو على الشعر الحر، رغم أن العقاد نفسه اقترب جدا من الشعر الحر فى بعض دواوينه مثل ديوان (عابر سبيل) الذى نشر لأول مرة بالقاهرة عام ١٩٣٧.

وأذكر أننى حينما التقيت بالعقاد لأول مرة فى المجلس الأعلى للفنون والاداب أو المجلس الأعلى للثقافة الآن، دارت مناقشة حول أحد الموضوعات، فلما أبديت رأيى، قاطعنى العقاد قائلا:

ـ دا رأى شيوعى...

ثم نشأت بيننا مودة بعد ذلك.

وعلى أية حال، فإننى أحمل لكل جيل الرواد احتراما خاصا، فهم اساتذة قدموا كثيرا للأدب والفكر، ولولا هذا الجهد لما ازدهرت الثقافة المصرية أو العربية.

ـ إننى قد حضرت (كل محاضرات) طه حسين فى الجامعة، وأذكر أن طه حسين أسر لى أن أهتم بابنه الدكتور، مؤنس طه حسين ليتعرف على الأدب العربى وليكون أكثر صلة به، ولكنى لم أستطع لأن مؤنس أقام فى الخارج.

* لنصل إلى حدود علاقتك بتوفيق الحكيم..

ـ أذكر أن أستاذنا توفيق الحكيم أرسل لى سكرتيره وزميلنا المرحوم محمود يوسف ليقول لى أنه ـ أى الحكيم ـ يؤيدنى فى محاوراتى مع طه حسين، وأنه يريد مقابلتى.

وألتقيت بتوفيق الحكيم فى مكتبه بدار الكتب، كان أكثر ماأثر فى قوله:

ـ أنا خايف عليك، إن هناك فى البلد قوى عاتية تتهمك بالشيوعية.

إن أكثر مايميز أدب الحكيم وفكره اهتمامه اليقظ بالقضية الاجتماعية، وقد تعامل مع هذه القضية بفطنة شديدة.

إن توفيق الحكيم، بحق، هو فنان الأدب، وهو حقا (راهب الفن/ راهب الفكر).

وربما كان أفضل وصف لتوفيق الحكيم أنه نبع عظيم تتفرع عنه أنهار كثيرة، فهو فى أدبنا العربى الأب الشرعى لفن الأدب المسرحى ولفن القصة ولفن الرواية ولفن المقالة الأدبية ذات الأسلوب السهل الممتنع العميق المتدفق، لكلماته (إيقاع النبضات)،

وقد كنا نتابع الخلافات الضارية بين العقاد والرافعى فى أسى كبير.. فالعقاد أستاذ عظيم له كل التقدير، ومصطفى صادق الرافعى، متفرد فى بيانه المشرق، حتى لقد قال عنه سعد زغلول إن أسلوبه كأنه «تنزيل من التنزيل»، وكان الناشرون

لأعمال الرافعي يضعون هذه الشهادة دائما على اعلاناتهم عن كتبه.. كان لكل واحد من الرواد سماته.. فالمازني يهتم باليسر، ويتميز بعمق معانيه واشراق اسلوبه الذى يوصف بالسهل الممتنع، وألفاظه هي أوعية معانية بلا زيادة ولا نقصان. وهذا بالضبط ماتميزت به كتابات الشيخ مصطفى عبد الرازق، وهو من الرواد الذين لم نعرف لهم فضلهم حق المعرفة.

كان مصطفى عبد الرازق يتميز بالدقة فى اختيار الألفاظ، والنصاعة فى البيان، كان لايعبر بطريقة مطولة وهذا هو مايعرف بالإيجاز المشبع.

وأما هيكل رائد الرواية العربية فقد كان مثالا للمثقف العظيم متنوع الثقافة.. وكان غناه الثقافى مفخرة لنا فى المحافل الدولية.. ومأأظن أن كاتبا معاصرا تناول التاريخ الإسلامى بمثل العذوبة والروعة والنصاعة التى تناوله بها الدكتور محمد حسين هيكل! ولسلامة موسى على الرغم من عدم اهتمامه بالصياغة تأثير كبير في الفكر المصرى والعربى، وفى قدرته على المعاصرة والاستشفاف.

كل هؤلاء الرواد كانوا ـ بالفعل ـ عصارة الحياة الجديدة فى ثقافتنا، وكانوا (أعصاب) النهضة ومشاعلها، وأيضا، الأساتذة الحقيقيين لجلينا كله.

ومع الأسف الشديد، فإن الجيل التالى لنا لم يستفد من هذا الجيل كما فعلنا، لأن تغيير العصر حال بينهم وبين ذلك.

وإذا جاز لى أن أزجي النصح (وأنا لاأحب إزجاء النصح).. أن يهتم الجيل التالى لنا والأجيال التالية بأولئك الرواد، كما أطالب الناشرين وخاصة الهيئة المصرية للكتاب ـ وهى الجهة الرسمية ـ باعادة نشر كتب هؤلاء الرواد، وعرضها على القراء بأسعار ميسرة!

الفقية والمثقف

*** ماهو تقديرك لوضع «رجل الدين» فى العالم الإسلامى؟**
وماتأثيرهم فى هذا المجتمع؟ وهل يمكن أن نقرن وضعهم بسيطرة (الكهنة)؟
ثم ماهو رأيك فى الوضع المنشود لرجل الدين؟

ـ بداية أريد القول، أن الإسلام لايعرف شيئا اسمه رجل الدين، إنما هو مصطلح تعرفه الأديان الأخرى، أما الإسلام فلا يعرف السلطة الدينية التى تتمثل فى رجل الدين ولايعرف بها، إنما يعرف (الفقيه) أو (العالم)، فقيه الدين أو عالم الدين.

إن الدين الإسلامى لايعرف مؤسسة أو جماعة مايمكن أن تعد سلطة إسلامية.

فى الإسلام يوجد الدين والشريعة، والشريعة هى تنظيم المجتمع، والإسلام يعنى بالمجتمع، وبإنشاء المجتمع الأفضل، وبتحقيق مصالح الناس فى هذا المجتمع الأفضل الجديد، لأن هذا المجتمع هو هدف الشريعة.

فإذا حاولت أن تبحث عن الفقيه أو العالم الآن، فستجد أنهم يتمثلون فى أولئك (المثقفين) الذين يلعبون دورا ايجابيا فى المجتمع، البعض يعمل على أن يحقق الإسلام المجتمع الفاضل، والبعض الآخر يعمل على أن يكون الإسلام وسيلة لتحقيق مصالح هذا المجتمع.

ويجب أن نفرق دائما بين اثنين: من يعمل من أجل المجتمع الإسلامى، ومن يعمل من أجل أن يكون الإسلام وسيلة لتحقيق مصالحه..

على أنه كلما مضى الزمن بالحياة الإسلامية اتضح الخلاف بين الاثنين.. وعلى سبيل المثال، ماذا يمثل الإسلام خلال رؤية هذا المثقف أو ذاك.. إن هناك نظاما يقوم على الملكية أو على نظام الوراثة غير النظام الذى يقوم على الشورى،

من أيهما نأخذ به؟

فلنأخذ مثلا آخر، يتمثل فى الزكاة، لقد رأى على ـ رضى الله عنه ـ للفقراء حقا فى أموال الأغنياء غير الزكاة، فقال مادام هناك اناس فى حاجة يجب ألا يكون عند أحد فائض، الفائض يدفع للدولة لسد حاجة الناس، وعلى هذا جاء الفقهاء منفذين كابن حزم، الذى رأى أنه للسلطان ـ أيا كان اسمه ـ رئيس جمهورية أو ملك أو أمير... ـ أن يقوم الأغنياء بحقوق الفقراء، ولابد أن يصل أولئك الفقراء إلى (حد الكفاية)، أى يكتفوا، وعرف الأكتفاء بأنه سد متوسط احتياجات الناس من مسكن أو مواصلات أو حياة لائقة بالإنسان كأن يعالج أو يتعلم إلى غير ذلك.

معنى ذلك أن يتوفر للناس حياة لائقة بالإنسان ومستوى طبيعى من الحياة فلا يسام الفقراء بينما هناك البعض لايستطيع صرف أمواله أو جزء يسير منها، وبهذا يصل بالفقير إلى ماقبل حد الرفاهية.

ونحن لو طبقنا هذا المبدأ الآن سوف نجد أن كل حكام المسلمين وخاصة فى الدول الغنية بما يقترفون إنما يحاربون الاشتراكية، فى وقت تطمس فيه الأركان الإسلامية والقواعد الأصلية فى الدين، وفى حالة مثل هذه، فإن من يقوم بدور الوسيلة التى تؤازر الملوك وتحارب الفقراء إنما هم علماء الدين، إذ أنهم يقومون بدور سلبى حيث أنهم موالون للحاكم، أى موالون لمصالحهم التى فى يدى هذا الحاكم.

هذه النوعية من علماء الدين السلبيين إذا ماوجدوا. أما النوعية الأخرى من رجال الدين أيضا فهم أولئك الإيجابيون، وهم قلة، يحاولون البحث عن حق الفقراء والذود عنهم، يصفونهم بالاشتراكيين (الاشتراكية هنا مساوية للالحادية) وذلك اتهام موجود منذ زمن بعيد.

هذا يحدث فى الوقت الذى اجتهد فيه البعض فى الفكر الإسلامى ليؤكد عبارة اقتصادية هى (كل بقدر)، وهى عبارة كما نرى تعود إلى كارل ماركس فى

الفكر الحديث، ولكنها تعود إلى الفكر الإسلامى منذ زمن بعيد قبل ماركس بقرون.

وهنا يطرح الموقف علينا أكثر من سؤال:

ـ ماسر هذا الموقف السلبى من علماء الدين السلبيين، على الأقل فى هذا العصر؟

وتأتى الإجابة واضحة مسنونة

ـــ لأن هؤلاء العلماء يملكون آلافا وملايين من الجنيهات فى وقت يعرفون فيه جيدا أن هناك مبدأ فى الإسلام يؤكد أنه لو مات أحد فى الإسلام بالجوع، فإن الأمة كلها آثمة.

وهنا نصل إلى السؤال الآخر:

هل من يطالب بتحقيق العدل الاجتماعى يكون شيوعيا عندهم؟

وعلى أية حال، فمن الثابت أن علماء الدين من السلبيين، رغم ضراوتهم، فليس لهم تأثير كبير فى المجتمع، إذ أن التاريخ يؤكد دائما أن الغلبة تكون لعلماء الدين الايجابيين والواعين بضرورة العصر ومتطلباته.

ويفرض سؤال ثالث نفسه علينا هنا:

ـ إن وضع عالم الدين السلبى عندنا يكون سيئا.. لماذا؟

وتأتى الإجابة:

ـ إن هناك عددا كبيرا من علماء الدين لايزالون يدافعون عن الثروات، ويتاجرون بالدين، ويحاولون أن يكونوا مثل هؤلاء الذين كانوا فى العصور الوسطى ممن يحتفون بالسلطة ممثلين الكهنوت.

وهؤلاء مرفوضون اليوم.

وإذا كان هؤلاء قد فقدوا تأثيرهم، إذن، فمن البديل اليوم؟

وتأتى الإجابة الجديدة لتؤكد أن عالم الدين الآن هو المثقف خارج بيئة عالم الدين بالشكل التقليدى، فقد حورب عالم الدين الفقيه التقى من أمثال الشيخ

عبد الرحيم فودة وخالد محمد خالد، وهو مارأينا فى العصور الإسلامية البعيدة كما هو معلوم عند أبى حنيفة على سبيل المثال إلى درجة أن أبا حنيفة شبه أو سمى بالزنديق.

إن عالم الدين قديما كان يقوم بدور واع إيجابى، فحين نبحث عن ظهور علم الكيمياء أو الفيزياء فى التاريخ الإسلامى، سنجد أن الكيمياء بصورتها الراقية ظهرت عند رجل اسمه الإمام جعفر الصادق، جده الأكبر كان على بن أبى طالب.. ومن جعفر الصادق تفرع علم الكيمياء فى العالم كله ونشأ فى العالم كله وخاصة على يد تلميذ جابر بن حيان. إن جابر بن حيان كان فقيها، وأيضا، تلميذا للإمام جعفر.

*** من أين يأتى الخطر على العالم الإسلامى اليوم.. من الداخل أم من الخارج؟ من علماء الدين أم من القوى الخارجية الطامعة فينا دائما؟**

ـ إن الخطر من داخل الإسلام أو خارجه يستويان، فكلاهما خطر، وكلاهما شر من صاحبه، لقد حض الله فى الإسلام الناس على الجهاد فى سبيل الله، على تحرير الأرض من أى أغتصاب أو إحتلال أجنبى، فالإسلام جاء من أجل مقاومة القهر الداخلى أو القهر الخارجى، ومقاومة القهر الداخلى كمقاومة القهر الخارجى.

على أنه لابد من التنبه هنا إلى أمر هام، هو، إنه بدون حرية يصعب التصدى للقهر سواء جاء من الخارج أو جاء من الداخل، وبدون حرية لا يمكن أن يوجد الباعث على التحرير، والعمل على أطراد التقدم فى الطريق السوى.

إن واجب المسلم هنا، هو، مقاومة القهر مهما تكن صورة..

لماذا المقاومة؟

لأن الإسلام يؤكد أن الأمر شورى، ويفسر جميع الفقهاء المستنيرين أن الشورى واجب على الحاكم (لا أختيار)، والواجب إنفاذها.

*** يطلق على بعض الشباب الذين يدعون إلى الدعوة الإسلامية بمفهومها الجديد لفظة (المتطرفين).. فهل توافق على هذا؟ ولماذا؟**

ـ للإجابة عن هذا السؤال لابد من العودة دائما إلى علماء الدين، وعلماء الدين السلبيين الذين تأثيرهم، في الوقت الذى شوهوا فيه صورة عالم الدين التقى الورع الواعى، فكانت النتيجة أن فقد عدد كبير من الشباب الثقة فى قياداتهم الدينية، وهذا لا يكون تطرفا بالمعنى الواضح، وإنما هو رد فعل يتبدى فى الظلم الإجتماعى، والفارق الرهيب بين الطبقات، ولفقدان الثقة فى القيادات الدينية.

خذ مثالا واضحا أمامنا كل يوم.. [شاب تخرج حديثا من الجامعة يريد أن يتزوج ويتحمل نفقات المعيشة، ومع ذلك، لا يستطيع، فى وقت نجد فيه رجال الدين يملكون الملايين..

خذ مثالا آخر..

هناك رجل فى العصر الجديد الذى نعيشه الآن يثرى بوسائل غير مشروعة فيصبح صاحب عمارات وأطيان فى وقت لا يستطيع هذا الشاب ـ المعدم ـ توفير أحتياجاته الأوليه ليعيش بعد مرحلة طويلة من التعليم..

أين العدالة الإجتماعية هنا؟.

ومن هنا، أصبحنا اليوم أمام تقسيم الشباب إلى ثلاثة أنواع:

ـ شاب مؤمن (يطلق عليه: متطرف)

ـ شاب ممزق

ـ شاب لا يجد غير الدين فينحرف إليه.

وباختصار، إن الشاب الرافض هنا يكون (متطرفا) من وجهة النظر الرسمية .. سبب التطرف إذن، هو، افتقاد العدالة الأجتماعية بين الطبقات.

وهذا يعنى بشكلماافتقاد الرؤية الصحيحة لعالم الدين.

*** لنخرج من دائرة التجريد إلى آفاق التحديد.. أو بمعنى آخر، لنترك المهنى العام للمصطلح ـ عالم الدين ـ إلى المعنى الخاص فى نماذجك الأدبية.. ماهى ملامح عالم الدين عندك، وماهى بواعث نظرتك إليه؟**

ـ فى قريتى، ولابد أن أعود إليها دائما كلما ذكرت عالم الدين أو الفقيه، رأيت نموذجين له، نموذج الفقيه الإيجابى والفقيه السلبى، غير أننى رأيت منذ

فترة مبكرة، النماذج السلبية أكثر وضوحا، وهذه النماذج السلبية كانت تخدع الناس فتعاملهم معاملة سيئة وتغتصب أموالهم باسم الدين.

ومع هذا، لايجب إغفال النموذج الإيجابى هذا النموذج الذى كان دائما يغلب رمزا على رمز فى ثنائية الخير والشر، لقد كان نموذج الخير دائما يعبر عن نفسه بشكل أكثر شجاعة ووعيا ووضوحا، ويتميز بالخلق السليم، ويمكن أن نضرب أمثلة لرجال الدين الخيرين، من هؤلاء كل من الشيخ عبد الرحيم فودة والشيخ شلتوت.

ولاتزال يوجد حتى الآن النماذج السيئة من علماء الدين المؤثرين فى الأزهر، وهؤلاء يعدون نكبة على الدين، ذلك لأن أصولهم تخالف كل الأصول الإسلامية الأولى، كما أن رغبتهم تتبدى فى أنهم يريدون أن يفرضوا نوعا من الوصاية، وصاية المجامع الدينية الوثنية.

إنهم فى الواقع يذكروننى برجال الدين الوثنيين أو برجال الكنيسة فى العصور الوسطى، ومازال أولئك موجودين حتى اليوم، أولئك الذين يمتلئون بالجهل والتعنت، وهم الباطشون دوما بالأفقة منهم، وأنا مازلت على المستوى الشخصى أعانى منهم حتى اليوم(٧).

وأنا دائما أضع النموذجين أمامي ـ السلبى والإيجابى ـ وأحتفى أكثر بالإيجابى كما هو الحال فى رواية (الأرض)، حيث يمثل الشيخ حسونة عالم الدين الإيجابى الذى يكشف كل هؤلاء ويفضح مواقفهم.

وإذن، يمكن تصنيف علماء الدين عندى إلى:

ـ رجل الدين السيئ.

(ويقع فى إطاره رجل الدين الجاهل)

ـ رجل الدين المستنير.

والغريب أن الشخصية فى نهاية الأمر، ورغم كل تجاوزات الشر، هى شخصية عالم الدين المستنير، فهى الشخصية التى تبدأ التغيير دائما، وتعانى فى سبيله دائما رغم كل العقبات، فالشيخ حسونة كما هو الحال فى الكتاب ـ وليس الفيلم، فإن

الفيلم شوهه كثيرا مع الجهد الكبير للالتزام بالشخصية دون جدوى ـ الشيخ حسونة التزم كثيرا بنموذج عالم الدين الإيجابى الذى فعل الكثير من أجل الإصلاح والتغيير.

ويمكن أن نجد نماذج كثيرة لرجال الدين الإيجابى، وخاصة، فى أرض المعركة) على شكل مايجب أن يكون عليه عالم الدين، وقد سعيت إلى محاولة الاكتمال فى رسم هذا النموذج الإيجابى إنما لكى يتمثل المصريون من علماء الدين الإسلامى الذين كانوا مناضلين أشداء دفاعا عن حريات الشعب وحقوق الإسلام

*** انت متهم ـ دائما لاسيما فى رواية (الأرض) بابراز رجل «البرجوازية» المثقف، الذى لايلجأ قط للثورة، أو يدافع عن الفلاحين ولاحتى يلجأ لدفع الفلاحين للثورة اعتراضا على الجور الذى اصابهم، وتفسير هذا أن المثقف هنا حاول استبدال بالغضب (العريضة) التى تقدموا بها ونجح فى هذا كثيرا.. هل هذا صحيح؟**

ـ هذا غير صحيح، لقد تحرك الناس وثاروا أكثر من مرة وقطعوا الجسر، والقوا بالحديد فى البريمة وتقدم الناس بأكثر من فعل إيجابى.

والخديعة كانت فى العريضة،وواضح أنهم كانوا يرفضونها، وأنهم لم يختارو أسلوبا للتعبير عن غضبهم، وإنما خدعوا بها، وسرعان ماا كتشفوا أنهم وقعوا فى الفخ الذى نصبه عدوهم.. فاختاروا طريق الكفاح وهو طريقهم الوحيد، لقد قطعوا الجسر ورووا الأرض وانتزعوا حقوقهم بقوة سواعدهم وقوة تضامنهم أيضا.

هنا أيضا يمكن أن تلحظ أثر عالم الدين..

*** الملاحظ أن (أرض المعركة) تركز فى أغلب نماذجها على عالم الدين.. ماهى البواعث وراء ذلك؟**

ـ لقد اهتممت بالفعل بعلماء الدين بشكل مكثف جدا، فعلماء الدين فى هـذه الفترة من تاريخ مصر كانو هم المثقفين الثوريين وكانوا طليعة الشعب المناضل.

وفضلا عن هذا، ففى فترة كتابة هذه الصور من كفاح الشعب المصرى كانت مصر تزخر بنماذج متباينة من علماء الدين، منهم من يمثل قيم الإسلام حقا، ومنهم، مع الأسف، من يسئ إلى هذه القيم الإسلامية.

وأذكر أننا كنا نسمع ونقرأ لبعض علماء الدين هجوما عنيفا على كل ماهو خطأ، وفى الوقت نفسه ونقرأ نفاقا للملك، إذ كان هناك من يطلق على ذلك الملك المستبد الفاسد صفة (الملك العادل والملك الصالح).

لقد كان على أن أذكرهم بعلماء الدين الأصلاء السابقين فى فترات كان بها عسف أشد، إذ زعم بعضهم أن للملك هذه الصفات السابقة مضافا إليها أنه ـ أى الملك ـ من نسل الحسين، على أننى لايمكن أن أنكر أن ذلك كان يتم فى وقت لم يكن ليخلو، كما أسلفت ـ من المستنيرين، كان كل من الشيخ حسن الباقورى وخالد محمد خالد وعبد المنعم النمر وعبد الرحيم فودة وغيرهم من أولئك المدافعين عن القيم النبيلة.

*** إذا كان العالم والفقيه الآن أصبح هو (المثقف)..**

هل ثمة رؤية لديك للمثقف؟ وأين نجده فى أعمالك؟

ـ من أهم المصادر التى ضمنتها للمثقف الآن مايلى:

(أ) الفتى مهران.

(ب) رسالة إلى شهيد

(جـ) مقالات متفرقة تجمع الآن فى كتاب بعنوان (مقالات ومحاورات).

وقد كان لدى، دائما، الإيمان الراسخ فى أن يكون للمثقف الدور الفعال فى المجتمع، بل إننى احتفيت به كثيرا فى بعض كتاباتى إلى درجة بعيدة، فالمثقف، أكثر من غيره، وعيا بمتطلبات المرحلة التى يعيشها ودينامية العلاقات الداخلية فيها[٨].

ولنتوقف قليلا عند (الفتى مهران)، فقد كان علينا أن ندرك طيلة النص أن مأساة الفتى هنا هى أن الأمير خدعه، فسقط، ودائما، ينتهى البطل الذى يهادن

بالسقوط، (المهادنة فعل داخلى أولا)، والتهادن (= التهاون) فى أمور مصيرية، مهما يكن المبرر، يستند إلى حجج ومبررات مفرغة من مضمون حقيقى.

ومسرحية (الفتى مهران) تحتفى بهذا النوع من المثقفين المهادنين.

ولايظهر هذا فقط فى الشخصية المحورية فى العمل (مهران)، وإنما يظهر منذ بداية النص، فى صورة الراعى الفقير، ففى أول لحظة تقابل هذا الراعى الفقير مع القائد العنيد الذى استولى على عنزاته وهادنه، قدم المساومات المخزية التى دفعت به إلى سيف القائد (الحاكم)، وهو عين ماوقع فيه مهران، إذ ضعف أمام خديعة عدوه، متصورا أن الخير والشر يمكن أن يدخلا دائرة المساومة.

ومن هنا، راح (الفتى مهران) ثمنا لقصور تصوره.. وهو قصور يعود إلى عدم فهم طبيعة العلاقة بين الحاكم الذى أصر على حمل سيفه فى مواجهة مثقف آثر أن يتخلى عن سيفه.

*** ومن هو الفقيه / المثقف فى عملك المسرحي (الحسين)؟**

ـ الحسين، هو الحسين نفسه، فهو يمثل قمة عالم الدين، وموقفه هو نموذج عظيم للبطل فى الدراما وخارج الدراما فى الواقع الحى.

إن هذا الموقف يتمثل منذ الفصل الأول حين أعلن رفضه للبيعة للحاكم ونهض، وخرج على الطاعة وهو يعلم تماما ـ بامكاناته المادية ـ أنه سيستشهد.

إن الشهادة هنا استنهاض دائم لمقاومة الظلم والقهر.

هذا عن الحسين، أما عن القضية، فقد كانت قضية مبدأ، واستشهاده نتيجة لإصراره، لقد كان أمامه عشرات الفرص ليتنازل، بأن يهادن، فقد أغروه بكل الوسائل، وأعطوه الكثير من الفرص ليهادن ويفر من الموت، غير أن الأمر مع الحسين كان مختلفا تماما، إذ رفض تماماً، إذ رفض تماماً التخلى عن المبدأ[٩].

*** إذا كان هذا حال الفقيه/ المثقف، فما هو حال الأزهر وعلمائه المعاصرين؟**

ـ هذا أمر أردت أن أتحدث فيه إليك قبل ذلك بشكل منفصل.. فالأزهر كان له فى وقت من الأوقات رنين وصدى فى البلاد الإسلامية كلها، وفى مصر بالطبع.

هذه المكانة كانت تساوى مكانه السوربون فى مصر (الثلاثينات) وذلك بالنسبة للمثقفين المصريين.

لم يكن هذا فى العلم فقط، وإنما فى الدين أيضا، لقد كنا نفاجئ فى ذلك الزمان أن الفلاحين من متعلمى الأزهر، وقد كانوا حريصين على الجهر بذلك والتفاخر به.

ذلك كان، أما الآن، فقد اختلف الأمر كثيرا، وهذا اختلاف يبدو واضحا فى تصرفات علماء الدين فيه، أو أولئك المشايخ الذين جعلوا همهم الارتزاق على حساب المكانة المتهاوية، والتى أصبحت تتبع مراكز دينية محلية مختلفة فى بعض البلاد العربية مثل (رابطة العالم الإسلامى) التى أصبحت تفرض قراراتها وتملى إرادتها على أولئك الشيوخ.

لقد أصبح المشايخ الآن أصحاب ملايين بعد أن كانوا فى يوم ما من أصحاب الفضيلة.

لقد استبدلوا بالفضيلة الملايين.

الحسين وقضيته

*** يبدو أن الفترة التى كتبت فيها (الفتى مهران) و(الحسين) هى فترة هامة جدا، أين كنت فى هذا الوقت؟ وماظروف كتابة هذين العملين إلى غير ذلك من الأحداث خاصة و(الحسين)..؟**

ـ هذه الفترة هامة جدا، لأنها فترة الستينات فى مصر.

أما عن (الفتى مهران) فقد كتبت بين عامى ١٩٦٤/٦٣، ونشرت بعدها مباشرة حيث كان يدور الجدل ويرتفع عاليا حول ماسمى (بأزمة المثقفين). الأزمة التى كتب حولها محمد حسنين هيكل، فى بداية الستينات مقالاته التى جمعها فى كتاب فيما بعد تحت نفس العنوان.

وأذكر أن الردود حول (الفتى مهران) كانت كثيرة، لقد كتب محمود أمين العالم حينئذ عن المسرحية وهاجمها بعنف شديد هجوما سياسيا لافتا، إذ كان أيامها يتحالف مع الأتحاد الاشتراكى ضمن مثقفى اليسار.

وقد فسر هذا الهجوم بعد ذلك بسنوات، وبعد حل الاتحاد الاشتراكى بأنه كان نتيجة الظروف القائمة آنذاك، فالعالم حين ينظر إلى المسرحية الآن بعيدا عن ملابسات هذا الوقت تختلف نظرته ويمكن أن يهتم بالعناصر الفنية فقط، وأعرف أن محمود العالم اثنى على النص فيما بعد ـ بالفعل ـ وقد قال هذا خلال كتاباته التالية.

لقد كتب بعد حل الاتحاد الأشتراكى العربى وتغيير الظروف السياسية مايفيد تعليل هجومه السابق، فهو ينظر الآن للمسرحية نظرة جديدة فاذا به له رأى مخالف.

وقد يكون من المفيد أن نفسر أن محمود أمين العالم نقد المسرحية نقدا عنيفا لما فيها من انقضاض السلطات على بعض الفئات، وفهم من هذا أن هناك إسقاطا فنيا على انقضاض عبد الناصر على الشيوعيين، فقال أن المسرحية تلقى ظلالا سامة على التحالف الذى كان قد عقد بين الأتحاد الأشتراكى وبعض جماعات اليسار.

وقد تعددت التفسيرات حول العمل فى هذا الوقت، كان يعدها البعض إدانة لحرب اليمن، ويعدها البعض الآخر هجوما مباشرا على عبد الناصر.

أما أنا، فقد عشت واقعى وواقع العالم العربى فى هذه الفترة التاريخية، ومع ذلك، لاأستطيع تحديد الدوافع الحقيقية وراء كتابة مثل هذه المسرحية (الفتى مهران)، وإن كنت لاأستطيع نفى أنه كان من أهدافى أن أقول فيها رأيى فى كل القضايا المثارة، كما كنت ادين فيها التنازلات الكثيرة التى عاش فيها الوطن العربى حينذاك.

إننى حين فكرت فى كتابة شئ عن الشخصية المثقفة أو شخصية المثقف المصرى فى هذا الوقت من الستينات، وفى الظروف التى كان يعيش فيها لم أجد غير شخصية هذا الفتى (مهران) وظروفه.

لقد جاءنى أستاذ فى التاريخ (كان يعمل فى المخابرات العامة) وقال، بغضب شديد، أن شخصية الفتى مهران شخصية وهمية، وأنه لايوجد فى التاريخ مثل هذه الأحداث التى كتبتها فى (الفتى مهران)، فمن أين جئت بها؟ وماذا تريد؟

فقلت له: إذا قرأت التاريخ بموضوعية وتمعن شديدين ستجد هذه القصة فى أربعة سطور، وعليك أن تبحث فى كتب التراث وفى كتابات العصر المملوكى خاصة.

وإذن، إن الشخصية واقعية، وأحداثها واقع أيضا، وإن أحتلت كتابتها مساحة صغيرة من التاريخ العربى، ومع ذلك كله، أؤكد، أنه لايهمنى التاريخ، وإنما يهمنى أن أرصد الواقع وأقول خلال الرؤية الفنية وأثناءها ماأريد.

*** هل نتوقف ـ أكثر ـ عند (الحسين)؟**

ـ أما عن (الحسين) فقد كتبت هذه المسرحية خلال عامى ١٩٦٨، ١٩٦٩، لقد كان دافعى إلى كتابة الحسين دائما ـ كما أفعل ـ الواقع الموجود فى مصر وفى العالم العربى فى ذلك الوقت، فالحسين هو البطل الذى يؤمن بقضيته ويثور من أجلها، وهو مع ذلك، لايساوم ولايهادن، ولايمكن أن يفقد نفسه فى المهادنة أو المساومة رغم أن مصيره التراجيدى ـ كما أسفلت ـ يعرفه منذ البداية.

*** فى هذا الوقت، وقت كتابة (الحسين)، أين كنت؟ وماذا كنت تفعل؟**

ـ كان قد صدر قرار بنقلى من الصحافة إلى مؤسسة الأسماك، وحين امتنعت عن تنفيذ الأمر فصلت، فرفعت دعوى فى مجلس الدولة أطعن فى القرارين:

ـ قرار النقل

ـ قرار الفصل

فعينت مستشارا فنيا بمؤسسة السينما بوزارة الثقافة.

وخلال هذه الفترة القاسية كتبت الحسين وأنا ممنوع من الكتابة فى الصحف.

وبالمناسبة، أذكر أننى أثناء منعى من الكتابة، عرضت مسرحية (الفتى مهران)وواجهت هجوما سياسيا شديدا، وحينما رددت على هذا الهجوم لم ينشر أحد لى أى رد سعيت إلى كتابته.

*** فلنر الظروف التى منعت فيها مسرحية (الحسين) وأسرار هذه الفترة فى حياتك؟**

ـ الواقع أن مسرحية (الحسين) قبل عرضها بيومين اثنين جاء من السعودية الشيخ محمد حسنين مخلوف مندوبا من رابطة العالم الإسلامى يطالب بمنع عرض هذه المسرحية.

وبالمناسبة أود أن أذكر بأن رئيس هذه الرابطة قد أفتى بأن من قال أن (الأرض كروية) كافر ويجب قتله، غير أن الحكومة السعودية لم تعبأ بفتواه، وظلت مدارسها

ومازالت تدرس للطلبة أن (الأرض كروية)، ولكن هذا الرجل له نفوذ هائل على بعض الشيوخ فى مصر لأمر ما؟!!.

جاء الشيخ مخلوف إذن من طرف هذا الرجل مطالبا بمنع مسرحية (الحسين)، وكان الأستاذ كرم مطاوع ـ مخرج المسرحية ـ قد أعد المسرحيتين وأخرجهما فى عرض واحد (المعروف أن نص هذه المسرحية نشر فى جزأين: الحسين ثائرا، الحسين شهيدا) وذهب الشيخ مخلوف إلى الدكتور عبد الحليم محمود الذى كان وزيرا للأوقاف، فكتب الدكتور عبد الحليم محمود خطابا عاجلا أخذه بنفسه إلى الدكتور عبد القادر حاتم وطلب منه منع عرض المسرحية.

وحاول الدكتور عبد القادر حاتم حينئذ أن يقنعه بمشاهدة المسرحية وقراءتها دون جدوى، إذ رفض رفضا باتا، وقال باللفظ الواحد:

ـ لن تعرض هذه المسرحية إلا على جثتى.

وحين قال له الدكتور حاتم أن الأزهر وافق على عرض المسرحية عاد للقول:

ـ أصر وأزداد اصرارا على منعها أيضا، وإننى أطلب عقد جلسة عاجلة لمجمع البحوث الإسلامية.

وحينئذ تقدم موظف فى رابطة العالم الإسلامى (وهو موظف صغير وأصبح بعد ذلك موظفا كبيرا فى الأزهر بدرجة وكيل وزارة).. تقدم بتقرير ضد المسرحية كلها جهل فى جهل فى هذا الوقت، تناقش مجمع البحوث الإسلامية فى الأمر، وإذا بأحد أعضائه يتهمنى بأن هذه المسرحية (الحسين) إنما تكتب لحساب اليهود والصهيونية العالمية (كذا) وردد أكثر من عضو هذه التهمة.

وعلى هذا النحو، انتهى الأمر بأن وقفت المسرحية أو أوقفت..

ومن المضحك المبكى حقا أن موظفا فى مجمع البحوث الإسلامية، قال لى:

ـ إنك بهذه المسرحية تدافع عن الله والرسول والحسين، وأن من يدافع ـ حتى ـ عن (غازية) تدافع عنه، فكيف بالذى يدافع عن الله والرسول والحسين.

وأكـد لى الموظف، الذى زعم لى أنه من نسل الحسين ـ أنه سيـدافع عن المسرحية دفاعا حادا داخل المجلس، ومع ذلك، لم أسمع أن أحدا دافع عنها.

والأكثر من هذا أننى فوجئت ـ فيما بعد أنه كان من الد اعداء المسرحية وذلك امتثالا لأمر رئيس رابطة العالم الإسلامى الذى اعتبر عرض هذه المسرحية (حرام) بالشكل الذى رأى فيه حتمية أن يعارض من يقول أن (الأرض كروية).

وبدأت دوامة المسرحية، وهى دوامة عانيت فيها أشياء محزنة، ومارست كتابات طالبت فيها باصلاح الأزهر وغسل وجهه مما يلطخه ويحرره من رابطة العالم الإسلامى ليعود الأزهر كما كان منارة للدعوة، وحصنا للشريعة والأدب والقيم الإسلامية العظيمة.

ومازالت أذكر حتى اليوم أننى عاتبت بعض كبار المسئولين بالسعودية على تدخلهم الفاحش فى شئون لايعرفونها (مثل الفن)، فأنكروا انكارا شديدا تدخلهم، وأذكر أنهم قالوا لى:

ـ ماذنبنا إذا كان بعض المشايخ عندكم يأتمرون بأمر رجل سعودى نسخر نحن من فتاواه، وحسبك أن تعلم أنه طالبنا بالغاء مارآه صحيحا من ضروة الغاء من المدارس فكرة أن (الأرض كروية) ولم يهتم به أحد.

لقد كان رد فعلنا نحن منه هو السخرية.

وقد ضرب لى أولئك المسئولون السعوديون مثلا آخر، فقالوا أن الأزهر عندكم منع فيلم (الرسالة) امتثالا وتنفيذا لأمر هذا الرجل نفسه (ومازال الفيلم ممنوعا)، أما نحن هنا فى السعودية فقد عرضنا الفيلم هنا فى التليفزيون السعودى أكثر من مرة، رغم إلحاح هذا الرجل ومطالبته الدائمة بمنعه.

لقد كان هذا لأننا رأينا بالعقل المجرد أن الفيلم نافع ومفيد للإسلام.

إن هذا كله يزيد الاشفاق على الأزهر ويجعلنا نمعن فى المطالبة بتحرير الأزهر من هذه التبعية، ولكى ينهض بدوره الثقافى والتنويرى المأمول، فالمفروض أن الأزهر يقود ولايقاد، والمفروض أن رجاله قادة لاذيول[١٠].

المثقف والسلطة

*** ماهى العلاقة بينك وبين لجنة (نشر الثقافة الجديدة) ومجلة (الفجر الجديد) فى الاربعينات؟**

ـ مجلة (الفجر الجديد) هى مجلة ثقافية سياسية أسبوعية يحررها عدد من المثقفين التقدميين، أما لجنة (نشر الثقافة الجديدة) فإن لها طابعا خاصا ومهتمه أساسا بالأدب، والأدب التقدمى بوجه خاص، والأدب التقدمى فى هذا الوقت لم يكن مألوفا، وهو الأدب الذى شاع بعد الحرب العالمية الثانية.

حقيقة نشر بعض ألوان هذا الأدب قبل الحرب العالمية الثانية خلال منابر صحفية عديدة مثل (المقتطف) و(الهلال)، غير أن هذا كله مثل إرهاصات أولية فى وقت كان يحوط الدعوة التقدمية الحذر والغموض.

وبعد الحرب العالمية الثانية، ومع وجود الحلفاء، زال الحذر والخطر، وراجت الأفكار التقدمية التى كانت ممنوعة قبلا، وإن بدت فيما بعد بصورة مخيفة كما كانت قبل ذلك.

ومأأذكره الآن جيدا أن لجنة (النشر الثقافى) كانت تركز على الجانب الفكرى والثقافى وليس السياسى[١١].

*** هل كنت تابعا لتنظيم (حدتو) الشيوعى؟**

ـ لا، ومن يقل هذا يخطئ فى التاريخ المصرى، لقد كنا مجموعة من الشباب المصرى التقدمى، ومعظمنا له ميول أدبية اشتراكية، وقد كنا نمارس هذه

الميول خلال النشاط الثقافى سواء فى لجنة (نشر الثقافة الجديدة) أو (جماعة الفجر الجديد)، وأذكر منهم سعيد خيال وسعد لبيب ونعمان عاشور وعلى الراعى وإبراهيم عبد الحليم وعمر رشدى.

وخلال هذه الفترة كان لنا نشاط ثقافى يحاول أن يقدم الفكر التقدمى أو كتاب الفكر التقدمى كما يلقى محاضرات فى هذا الغرض[١٢].

وأذكر أن مجلة (الفجر الجديد) كانت تقدم ـ فى الغالب ـ أبحاثا علمية أو يغلب عليها الطابع العلمى، أما (لجنة الثقافة) فقد كانت تهتم بالأدب، وإن كان اعضاء هذه المجلة أو تلك اللجنة يتفقون جميعا ـ سواء من ذوى الميول العلمية أو الأدبية ـ فى القضية الوطنية، وقد ظللنا جميعا نعمل كيد واحدة حتى أوقف إسماعيل صدقى عددا كبيرا من المجلات التقدمية (يوليو ١٩٤٦) وكان منها مجلة (الفجر الجديد)، كما أغلق النوادى والجمعيات الثقافية التقدمية أيضا ومنها (لجنة الثقافة).

*** خروجا من الأدب والميول الوطنية المجردة.. ماهو موقفك العملى من تنظيم مثل الحركة المصرية للتحرر الوطنى (حمتو) أو الحزب الشيوعى المصرى (حدتو)؟**

ـ لا، لم أنتم لأى تنظيم شيوعى،

كما أننى لم أنتم لـ (حدتو)، كذلك، فإن مجلة (الغد) لم تكن لتنتمى إليه، بدليل، أنه حين ظهرت مجلة (الغد) فإن الكثيرين قد حاربوها ممن يرون اليوم أنهم من (حدتو).

ومهما يكن، فإن مجلة (الغد) قدمت الكثير من المثقفين التقدميين من أمثال حسن فؤاد وعبد الرحمن الشرقاوى وغيرهما، وقد أسهمنا من خلالها فى مجالى النقد والمسرح.

ومن ذكريات هذه الحقبة أيضا ـ الأربعينات ـ أن محمود أبو الفتح فكر فى الهيمنة على المجلة (كممول)، فمن طريق التمويل يستطيع السيطرة عليها، غير أننا اعتذرنا عن ذلك، وأذكر أن أهم الشخصيات معنا حنيئذ كان أحمد أبو الفتح وأحمد بهاء الدين وصلاح حافظ وحفنى محمود وعبد الغنى أبو العينين وغيرهم،

وأذكر أن الأشتراك فى هذا الوقت كان خمسة وعشرين قرشا لكل منا، وقد قمنا بتأجير شقة بمبلغ كبير بحسابات هذا الوقت (عشرة جنيهات)، واستمرت المجلة تطبع وتوزع مع ما لاقته من حرب رهيبة خاصة وقد وصلت أرقام التوزيع إلى أعداد عالية جدا.

غير أن المشكلة التى ظلت قائمة تمثلت فى الاعلانات، فى كيفية توفير الاعلانات التى تحول بين المجلة وبين السقوط، ومع الأسف الشديد، فاننا حوربنا فى (الأعلانات) بوجه خاص، لماذا؟ لأن شركة الاعلانات المصرية التابعة لمحمود أبو الفتح رفضت مدنا بالاعلانات، وهو موقف طبيعى بالنسبة لرجل أراد الهيمنة علينا، كما أن إعلانات الأهرام لم تساندنا حين ظهرت بمظهر اللامبالاة بنا، وبشكل صريح.

لقد كان هناك تخوف واضح من الرأسمالية على هذه المجلة التى كان يمثلها عدد من الكتاب التقدميين ومن ذوى الميول الأشتراكية وعدد من أنصار السلام.

وأعتقد أن أهم أسباب تهاوى المجلة فى نهاية الأمر هو موقف الجماعات التقدمية، وهو موقف يتلخص فى التفكك والتناحر الذى كان يحول بينهم وبين التماسك الذى يمكن أن يحفظ لتياراتهم البقاء، ويحول بين مجلاتهم الثقافية وبين السقوط.

هذا على المستوى العام، أما على المستوى الخاص، فاننى لم أجد صعوبة ما قط فى التعامل مع أى من ممثلى الحركة اليسارية أو الشيوعية، لم أجد مشكلة قط فى التعامل مع التيار الشيوعى فى البنية المصرية بشرط أن يعمل ممثلو هذا التيار أو ذاك فى النور ووسط الجماهير العريضة.

وهذا هو السبب الذى دفعنى لأكتب فى هذه المجلات أو تلك الجماعات الثقافية التى تنتمى لتيار اليسار فى الأربعينيات، ولكن الشئ المؤكد، وفى جميع الحالات، أننى لم أنتم قط إلى أى منهم (ككادر) سياسى.

ماأريد التركيز عليه الآن، ولابأس من تكراره، أننى لم أنتم قط إلى تيار بشكل (تنظيمى) وهو الذى لم يمنعنى من العمل فى (الفجر الجديد) و(لجنة نشر الثقافة الجديدة)، وقد يكون هذا أوذاك منتميا لمنظمة يسارية، لكننى لاأعرف.

لقد كان هناك، فى هذا الوقت، مثقفون كثيرون ـ تقدميون ـ مثلى، يعملون بغير أنتماء تنظيمى، وإنما كان كل انتمائهم (للتقدم) والتقدميين فقط.

*** يقول صلاح حافظ فى أحد اعداد صباح الخير (١٩٨٤/٤/١٢): «أذكر مرة أننى اختلفت مع عبد الرحمن الشرقاوى. كان له موقف سياسى معين، وكنت ضد هذا الموقف، ونحن كلانا فى نفس التنظيم. فهاجمته وهاجمنى فصرنا نحن الاثنين متعيين للحزب»**

ماصحة هذا القول، وخاصة أنك تؤكد عدم انتمائك لأى تنظيم سياسى؟

ـ ربما اختلط الأمر على صلاح حافظ أنه كانت هناك فترة فى تاريخ مصر، كان فيها تنظيمات سياسية سرية كثيرة، وكان بهذه التنظيمات واجهات علنية، هى الواجهات الثقافية، كنت أحيانا لاأعلم من وراء هذه الواجهات العلنية سواء من الأشخاص أو من الهيئات..

لايهمنى ولايعنينى.

إن أى تنظيم له واجهة ثقافية لم أتردد إذن فى الاشتراك فيه لأعمل من خلاله، والذى يحكى عنه صلاح حافظ الآن كان خلافا بيننا، فى وقت كنا (أنا وهو) فى لجنة ثقافية واحدة خلال مكتبها السرى.

فى بعض الفترات كنت أشارك فى جمع التبرعات لحالات إنسانية مثلا، كنت أشارك فى هذه التبرعات فقط لوجه الثقافة، لكن، أؤكد، أن كل نشاطى لم يجاوز النشاط الثقافى العلنى بهذا التنظيم أو ذاك.

كل ماكان يهمنى هو الوجه التقدمى الذى يدفعنى إلى العمل من خلاله.

*** ألاحظ أنك تردد كثيرا لفظة (تقدمى).. ماهو دلالة هذا اللفظ لديك؟**

ـ إن لفظة (تقدمى) كانت لفظة مخيفة فى الأربعينات، إذ لم يكن يقابلها لفظة رجعى فقط، وإنما كان هناك مثقفون غير رجعيين يخافون من هذه اللفظة.

كانت لفظة (تقدمى) أو (تقدميون) تثير الذعر كثيرا.

*** هذا عن واقع الكلمة، فماذا عن وقعها فى هذه الحقبة؟**

ـ إن (التـقـدمى) فى ذلك الزمـان كـانت تعنى المواطن من ذوى الميـول الاشتراكية.

هذا المواطن هو مناضل اشتراكى وطنى يناضل للتحرير الوطنى وتحرير اقتصاده وثقافته ومجتمعه، وقد يكون من المفيد أن نشير أيضا إلى أن لفظة (تحرير) أيضا كانت كلمة مخيفة وكانت ترادف لفظة (الشيوعية).

وبالمناسبة، فإن أول صحيفة أصدرتها ثورة ١٩٥٢ كانت هى (التحرير).

المهم، أن المناضل التقدمى هو مواطن اهتم بنشر التراث العالمى مصريا كان أو إسلاميا أو إغريقيا أو عربيا.. وهو أيضا المؤمن بالكفاح الوطنى الديمقراطى للتحرر من نير الاستعمار أو التخلف أو القهر.

إن هذه المصطلحات الجديدة كان لها وقع وواقع مخيف جدا، إذ كان يخشى من زحف اشتراكى قادم، وعلى أية حال، فإن أفضل وسيلة للتعرف أكثر على مضمون هذا المصطلح فى زمنه أن نتوقف هنيهة عند الأربعينات..

لقـد كنا أمام سيطرة فظيـعة من أتحاد الصناعـات، ومرتبطين ارتباطا حـادا بالأقطاع الذى يأخذ فى علاقاته بالفلاحين علاقة عبودية، فيتحول الفلاح ـ تدريجيا ـ إلى (قن) فى أرض السيد.

لم يكن أمامنا غير أن نسلك هذا المسلك التقدمى، المسلك الذى كان يعنى تحرير الإنسان، وأذكر فيما بعد، أننى حين نشرت كتاب (محمد رسولال الحرية) جاء من يقول لى صراحة: «إن عبد الرحمن الشرقاوى حول الإسلام إلى ماركسية، حول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى ماركس»

وقد قال هذا بالتحديد أحد رجالات الملوك العرب.

وعودة إلى الأربعينات، فإن هذا الواقع الذى كنا نحيا فيه شهد رد فعل النظام الذى تمثل فى حركة ١٩٤٦، وهو رد فعل تبدى فى يوم ١١ يوليو حين اضطرت مجلة (الفجر الجديد) إلى التحول إلى منظمة سرية تحت اسم (الطليعة الشعبية للتحرر) ثم (طليعة العمال) ثم (حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى).

لقد قبض علينا فى حركة ١٩٤٦، لكن ماكدنا نغادر السجن بعد (مناورة) صدقى التى اعترف بها فيما بعد، حتى عدنا لاعادة الهجوم من جديد،

كان الهجوم على اثنين:

ـ الاستعمار الإنجليزى

ـ الاستبداد الملكى.

*** مرورا فوق احداث كثيرة**

.. أين كنت فى (أزمة مارس ١٩٥٤)؟

وماذا كنت تفعل؟

ـ كنت أؤيد (الديمقراطية)، وقد كنت حينئذ ـ وظيفيا ـ ممنوعا من الكتابة، وليس لدى أية وسيلة للتعبير، ومع ذلك، كنت أؤيد قرارات الجبهة الوطنية فى ٢٥ مارس، والتى كانت قد أعلنت على هذا النحو:

١ـ يسمح بقيام الأحزاب ولن يولف مجلى الثورة حزبا.

٢ـ لاحرمان من الحقوق السياسية حتى لايكون هناك تأثير على الأنتخابات المقبلة.

٣ـ تنتخب الجمعية التأسيسية (لاقرار الدستور الجديد للبلاد) انتخابا حرا مباشرا وتكون لها السيادة الكاملة، وكذلك تكون لها سلطة البرلمان فى فترة الانتقال إلى حين انعقاده.

٤ـ يحل مجلس قيادة الثورة فى ٢٤ يوليو سنة ١٩٥٤ وتعتبر الثورة منتهية وتسلم البلاد لممثلى الأمة.

٥ـ تنتخب الجمعية التأسيسية رئيسا للجمهورية بمجرد انعقادها.

ذلك إلى جانب الموقف الخاص بى بعدم الانحياز لأمريكا، وخاصة أن هذه الفترة شهدت كتاباتى المتوالية فى صحيفة (المصرى) ضد أمريكا وضد محاولاتها الاستعمارية ومن أوضح هذه المحاولات فى هذا الوقت مشروعات الدفاع المشترك و(النقطة الرابعة).

وبهذه المناسبة، أذكر أننى كنت قد أيدت الثورة حين قامت، لكن حين بدأت تنحاز إلى أمريكا وتضرب اليسار وتقتل بعض العمال الذين عارضوها، وعندما بدأت الثورة تبطش بطشا شديدا بالأحزاب (بدعوى التطهير ثم الإلغاء) وتتعاون مع بعض الرموز.. حين بدا أن هذا هو موقف الثورة الجديد كنت ضد هذا كله.

لقد منعت من الكتابة فى الصحف ـــ المقالات ـــ فكتبت الابداع الفنى ـــ الروايات ـــ لقد كتبت الرواية التى تحتوى على كفاح وطنى ديمقراطى (رواية الأرض)، وقبل أن تكتمل حلقاتها فى جريدة (المصرى) منعت من الكتابة، بل وفصلت تماما بدءا من يونيو من عام ١٩٥٣، وأذكر أن آخر مقال كتبته حينئذ مقالة حول مقالة أخرى لطه حسين فى صحيفة (الغد).

من ذكريات هذه الفترة أن طه حسين حين جاء إلى صحيفة (المصرى) ليرد علىّ فى إحدى المقالات، فى هذا الوقت، كان البوليس يبحث عنى للقبض علىّ، وقبل أن اصل إلى المصرى كان أحمد أبوالفتح قد أرسل لى رسولا لأترك البيت قبل القبض علىّ.

وعودا على بدء، فإنه لم يكد يجىء مارس من عام ١٩٥٤ حتى كنت ممنوعا من الكتابة، ومحروما من أربعة عشر جنيها كنت أحصل عليها من عملى (وهو مبلغ كبير بنقود هذا الزمان)، فلم يكن لدى غير البحث عن (سكن) آخر أقل إيجارا عن السكن الذى كنت أقطن فيه.

وأذكر فى هذه الفترة أننى لم أستطع التعبير عما يدور فى خاطرى، غير أننى كتبت مقالة يتيمة نشرت فى (روز اليوسف) ولكن (بالتيلة).

*** إلى متى ظللت ممنوعا من الكتابة؟**

ـ حتى عام ١٩٥٦ حين جاء صلاح سالم ـ رحمه الله ـ وكان قد أرسل لى أكثر من مرة، وحين ألتقينا أخبرنى أنه ستصدر جريدة بدلا من جريدة (المصرى) التى كانت قد أغلقت، فصارحته بأننى لن أستمر فى الكتابة لفترة طويلة مع صحف النظام لمعرفتى الحميمة برأى النظام فى، وأذكر أن صلاح سالم كان قد أكد لى أن جمال عبد الناصر اوحى إليه ـ شخصيا ـ بأن أعود للكتابة من جديد، بل رحب بهذا.

لم أجد أمامى غير أن أعلق قبولى بأن أنشر ماريد، ولأننى أعرف أن هذا لن يحدث، فإننى أفضل ـ هكذا اعتذرت ـ الا أشارك، لأننى أريد أن أكتب ما أريده أنا.

وعدت اعتصم بالرفض من جديد أمام صلاح سالم.

في تلك الفترة اختفى عضو مجلس قيادة الثورة ـ صلاح سالم ـ ليعود وقد أكد لي أن جمال عبد الناصر هو الذى طلب من جديد ان اكتب في الصحيفة الجديدة.

فوافقت، وعملت معه بالفعل، غير أنني فوجئت بعد قليل بايقافي من جديد، هذه المرة كانت ـ كما قيل لى حينئذ ـ بأمر من زكريا محيى الدين، فقد قيل لى إنه (محتج جدا) على ماأكتب[١٣].

على أن إيقافي ومنعي من الكتابة مسألة تستحق أن تذكر..

في هذه الفترة كنت قد كتبت مقالة عنوانها (ارفعوا أيديكم عن الشرق الأوسط) إبان عرض مشروع إيزنهاور علينا، وفوجئت بهذه المقالة وقد رفعت لتنشر في الصفحة الأولى (هذه أول مرة في حياتي تنشر لى مقالة في الصفحة الأولى)، وحين سألت عن السبب قيل لى أن هذا تم بأمر جمال عبد الناصر شخصيا.

في الفترة التالية وضعت مقالتي ـ التالية ـ في الصفحة الثانية .

أما في الفترة الثالثة، فقد أختفت مقالتي تماما ضمن مقالاتي التى أختفت بايقافي من جديد.

وحين عملت بعد ذلك بقليل في صحيفة (الشعب)، فإذا بالنظام يقبض على ويعتقلني بعد فترة قليلة كنت قد عملت أثناءها في صباح الخير.

*** ماهو موقفك الحقيقي من اعتقالات ٥٩ للشيوعيين؟؟**

ـ في هذا الوقت كنت مريضا بمرض (التيفود)، وعلمت أن جمال عبد الناصر قد قدم إليه كشف، فإذا به اسمى، فسأل:

ـ هل عبد الرحمن الشرقاوى شيوعى؟

قيل له:

ـ هو زعيم الشيوعيين.

قال:

ـ أنا أعرف آخر ماعند عبد الرحمن الشرقاوى، لسبب بسيط، هو أنه يكتب بشكل علني، ومالا يعجبنا نمنعه، وليس له نشاط سرى.

لقد انتهى الأمر بعدم القبض على، وكانت الأسباب التى أسهمت فى هذا

لقد كان النظام فى هذا الوقت يخشى من القبض على الشخصيات التى لها اتصالات عالمية، وخاصة وأنه قد ترجم عدد كبير من أعمالى فى مقدمتها رواية (الأرض).

كما كان النظام فى هذا الوقت يحرص على القبض على الشيوعيين المنظمين فى تنظيم قائم معروف.

فضلا عن رأى جمال عبد الناصر السابق مما رجح عدم القبض على [١٤].

ومع ذلك، أذكر أن زوار الفجر ذهبوا إلى منزلى بالفعل، وتمت محاولة كبيرة لنهب مكتبتى الخاصة، وأذكر أن ضمن مانهب كتاب لاأجده فى العالم كله الآن، وهو عبارة عن (رسالة إنجلز فى مصر) أو هكذا هو العنوان، وهو كتاب ثمين بالنسبة لنا إذ طرق كل الموضوعات الخاصة بنا حتى الأدب والأديان[١٥].

وعلى أية حال، أذكر اننى كنت قد كتبت مقالات كثيرة من خلال عملى بجريدة (الجمهورية)، قلت فى إحداها أن الاشتراكيين الحقيقيين يقطعون الصخر فى الجبل، ويعذبون يوميا، وظللت أحلل بعض القضايا الاشتراكية مشيرا إلى الشيوعيين فى داخل السجون لا خارجها.

وأذكر أن موسى صبرى راح يرد على، فاعددت رد آخر عليه، غير أننى فوجئت بمنحى أجازة (مفتوحة) مع نهاية عام ١٩٥٩.

*** فى أحداث القبض على الإخوان.. أين كنت؟ وماهى مواقفك فى هذا الوقت؟**

ـ كنت ممنوعا من الكتابة، وظللت ممنوعا من الكتابة، ثم نقلت بعد ذلك إلى مؤسسة الأسماك فرفضت النقل ففصلت وظللت ممنوعا من الكتابة حتى عام ١٩٦٧.

وأذكر أن فتحى غانم فى عام ١٩٦٧ نشر لى بعض المقالات خلال فترة الحرب وبعدها.

وظللت ممنوعا من الكتابة ـ حتى مايو ١٩٧١ حيث كتبت أولى مقالاتى.

* **كتاب (باندونج والسلام العالمى) الذى كتبته عام ١٩٥٦..**

هل كان مع الثورة أو ضدها؟ ولماذا؟

ـ كان مع التضامن الآسيوى الأفريقى، وأذكر أن بعض المنظمات الشيوعية الصغيرة فى هذا الوقت قد أخرجت منشورات تهاجمنى وتتهمنى فيها بأننى أؤيد باندونج، وتقول أن باندونج «خديعة للشعوب»!! ثم غيرت موقفها بعد حين.

من ذكريات هذا الزمن اننى تعرفت على أنور السادات لأول مرة حين كان مسئولا عن النشر، وسلمته قصيدة من (من أب مصرى إلى الرئيس ترومان)(١٦) التى منع الرقيب نشرها فوافق على نشر القصيدة كلها.. مع تحفظ واحد:

هو حذف كلمة واحدة هى كلمة (عبد العزيز)، والمقطع يقول:

متى سوف تقرأ هذا الكلام سألتك ياسيدى.. بالجنون.

وبالمرسلين

بفاروق.. بالنقطة الرابعة

بعبد العزيز، بعبد الإله.. بكل العبيد من العابدين وبالتابعين. وبالتابعات.

قال لى بالحرف الواحد:

ـ أرجوك احذف «عبد العزيز» والبيت لن ينكسر

سألت: لماذا؟

فأجاب:

ـ هاتعمل لنا أزمة حادة مع الملك عبد العزيز، وذلك باتهامه، بانه يتعامل مع الأمريكان، وفى وقت نهاجم نحن الأمريكان فقط.

وبالفعل، فعلت ذلك، ونشرت القصيدة.

وأذكر فى هذا الوقت أن أنور السادات طلب منى أن أعمل فى صحيفة (الجمهورية)، أبديت تخوفى من عدم نشر مقالاتى أو منعها، غير أن السادات وعدنى بأنه سيزيل كل المشاكل التى سوف تعترض طريقى.

في هذا الوقت جاءت باندونج ودعوة (عدم الانحياز)، فنشرت كتابى السابق عن باندونج بعنوان (باندونج والسلام العالمى) وذلك بصحيفة الجمهورية، وحينئذ، فوجئت بالمنظمات الشيوعية تهاجمنى بعنف شرس، وهو ماذكرنى بما حدث من قبل حين نشرت رواية (الأرض) لأول مرة فإذا بى أتهم بأن هذه الرواية صدرت لحساب (البرجوازية) وهو مايساوى فى رأيى (عبث الأطفال).

المهم، استمررت فى موقفى الجديد حتى ذهبت إلى اجتماع الشباب العالمى بوارسو (وكنت عضو لجنة التحكيم بالقصة). وهناك، فوجئت بأن جنود البوليس الحربى الرسمى المصرى، ارتدوا ملابس الفلاحين والعمال، وأحدثوا مشاكل كثيرة خاصة للوفد المصرى، وحين عدت بعد ذلك إلى مصر، وكتبت عن السلبيات التى حدثت خارج البلاد، فإذا بى أجد نفسى فى السجن الحربى.

وفى هذا الوقت أذكر أننى وأنا أمضى فى ممرات السجن الحربى وسراديبه الكئيبة عشت بشاعة العذاب الذى وجدته على أجساد ووجوه من سبقونى إلى هنا، ومع يقينى أننى كنت أعرف الكثير ممن يسجنون ويرسفون فى الأغلال أمام عينى، فاننى لم أتعرف ـ قط ـ على أى منهم، فقد غير التعذيب الشديد من ملامح الوجوه وحولها إلى ملامح أخرى، ولاأنسى أننى سمعت صوتا ينادينى من أولئك، وأعترف أننى أحسست بأن الصوت مألوف والوجه غير مألوف، وحين حدقت فى صاحب الصياح لم أتعرف عليه، وفوجئت وأنا أقدح زناد فكرى لأتعرف على صاحب هذا الصوت إذا به يصيح: (أنا صلاح شادى ألا تعرفنى).

ورأيت الكثير من اهانات السجن الحربى، حتى رأيت رجالا فى غاية الوطنية والإصرار يصيحون تحت وطأة التعذيب الشرس بالأغنية التى كانت تردد فى هذا الوقت:

(ياجمال يامثال الوطنية...الخ)

وقد لعبت الصدفة دورا محمودا فى نجاتى من هول السعير الذى كنت فى سبيلى للولوج إليه، فقد حدث أن أبلغ مجلس قيادة الثورة بخبر القبض على والزج بى إلى السجن، فأصدر المجلس بعد خلاف قرارا بالافراج عنى، إذ كان البعض يرى ضرورة الافراج عنى، بينما يرفض البعض الآخر بحجة أننى شوهت البوليس الحربى،

الوجه الرسمى للنظام، وقد وجدت من يدافع عنى داخل مجلس قيادة الثورة، وتم الافراج عنى بالفعل.

ويصمت عبد الرحمن الشرقاوى، وحين يستعيد بعض ذكريات هذه الفترة يقول وقد تغيرت أسارير وجهه باعزاز شديد:

أما قصة الصدفة الغريبة التى تسببت فى الافراج عنى، فاذكر أنه تم القبض على فى مكتب مجاور لمكتب حسن فؤاد، وحين بلغت الضجة اذن حسن فؤاد، وأسرع ليشهد مشهد القبض على، كنت قد اشعلت سيجارة من علبة كبريت بها الثقب الأخير، وتصنعت الانشغال لأكتب رقما تليفونيا على علبة الكبريت وألقيها لأنها فارغة، وبعد أن مضيت التقط حسن فؤاد الرقم المدون على العلبة، واتصل بهذا الرقم ليرد عليه أنور السادات، فاستطاع ببديهة حاضرة أن يتعرف على صوته، ويبلغه ماحدث، ليتولى السادات فيما بعد محاولة الإفراج عنى فى اجتماع مجلس الثورة المشار إليه.

*** هل يمكن أن نتابع رصد علاقة المثقف بالسلطة فيما بعد؟**

ـ بعد الخروج من السجن الحربى عام ١٩٥٥ ذهبت إلى أنور السادات بصحيفة (الجمهورية)، وأخبرته ماحدث، وكان قد عرف بالفعل ماحدث وتألم له.

فى اليوم التالى ذهبت إلى المؤتمر الإسلامى.

أذكر أن أنور السادات راح يعاتبنى قائلا: أننا (فرشنا لك الأرض رمل)، ومع ذلك فانك، على العكس من موقفنا معك، حاولت أن تفيد الشيوعيين

بل إن السادات راح يقول لى فى إصرار غريب:

ـ أنا متأكد، ولدى معلومات أكيدة، بأنك تعمل بالتعاون مع الشيوعيين وبالتنسيق معهم لهدم الثورة.

وتراشقنا بالألفاظ، واحتد كل منا على الآخر، وقد كان هذا آخر لقاء بيننا، وظللت على هذا الموقف حتى ١٥ مايو ١٩٧١، حين فوجئ السادات بمقالة لى ضد مراكز القوى فى وقت حرج جدا، وقد كان من الممكن أن يكلفنى هذا الموقف حياتى كلها.

وقد كان من جراء هذا ان اتصل بى السادات مباشرة، وامتدت جسور المودة بيننا من جديد.

غير أن السادات كان يقول لى من آن لآخر، بمزاح، إن رأيى يستغل لصالح الشيوعية فى مصر. ذلك لأننى كنت ادافع دائما عن حرية الرأى لكل الكتاب مهما اختلفت معهم.

وأذكر أننى حين توليت (روز اليوسف) كان يضيق هو ببعض الكتاب، لكننى كنت أناقشه وأقنعه بأن يستمر الكتاب فيما يكتبون، وأحيانا كان يصمم على منع البعض من الكتابة فأتمسك بحقهم فى الكتابة على مسئوليتى الخاصة، وكانت كل خلافاتى معه فى تلك الفترة حول كتابات بعض من يريد منعهم من الكتابة، وكان ينتهى الخلاف كل مرة إلى كفالة حق هؤلاء فى الكتابة والتعبير.

* لنتوقف قليلا عند ظروف خروجك من روز اليوسف: لماذا؟ وكيف؟

ـ كان السادات قد ضاق صدره جدا ببعض المقالات التى كانت تناوئه فى الحكم أو تهاجمه، وخاصة من كتاب (روز اليوسف)، وقد وصل هذا الضيق إلى أقصاه بموقف (روز اليوسف) وخاصة من أحداث يناير ١٩٧٧ .

والواقع أنا ماكتبته أنا وماكتبه كتاب المجلة حول رحداث ١٩٧٧ ضيق الخناق على الحكومة وحملها المسئولية لما حدث، وقد ركزنا على اتهام الحكومة أما بالتقصير أو اتهام الشيوعيين لما حدث وهو اتهام باطل، والدليل على براءة الشيوعيين أن الحكومة راحت تقبض بعد ذلك على بعض محررى روز اليوسف وبعض أصدقاء المجلة واتهموهم بأنهم أشعلوا نيران الأحداث (المطالبة بالطعام) فى وقت كانوا جميعا معى فى غرفتى.

بل وأسهمت بعض هذه الاتهامات والمهاترات فى تحريض الجمهور علينا، فإذا باعداد كبيرة تلتف حول روز اليوسف وتحاصرها وتحاول الاعتداء علينا لولا أننا هددناهم بالقاء الأحماض عليهم، لولا هذا، لأحرقوا روز اليوسف.

وأذكر من تطورات هذه الفترة أننا قمنا بحملة عنيفة على الحكومة وخاصة فى رفع الأسعار لأن هذا تسبب فى انفجار الموقف، وكتبنا على غلاف عدد من مجلة (روز اليوسف) فى هذا الوقت عنوان يقول: (الحكومة اشعلت النار والسادات

اطفأها)، ذلك لأن السادات كان قد ألغى هذه القرارات الأقتصادية فانتهت المظاهرات.

وقد أغضب هذا الموقف أنور السادات غضبا شديدا.

لقد قرر السادات إحداث تغيير كامل فى روز اليوسف.. وذلك بابعادى وأبعاد رؤساء التحرير والمسئولين عنها فى ذلك الوقت.

وفى اللقاءات التى تمت، وردود الأفعال التى واجهتنا قلت: أنا وحدى المسئول عن كل ماكتبته (روز اليوسف) ولاداعى لاقصاء مديرى التحرير، ويجب المحافظة على هيئة تحرير المجلة بعد أن أصبحت وجها مشرقا لمصر فى العالم العربى، وإنه إذا كان الرئيس السادات يرى أننى اخطأت سوف استقيل على أن تبقى المؤسسة كما هى بكل قياداتها، وكنت فى هذا الوقت قد تعبت جدا صحيا، إلى درجة أننى كنت أفشل تماما حينما أحاول القراءة أو الكتابة فلا يتوفر لى الوقت الكافى، إذ كانت روز اليوسف تستغرق منى معظم الوقت،

وقد كان لى احساس جارف وحنين ملح للكتابة الأدبية وللتعبير من خلال الأبداع كما تعودت من قبل.

وبالمناسبة، خلال فترة عملى (بروز اليوسف) خلال السنوات السبع هناك، اللهم الا، عملا ادبيا واحدا هو (النسر الأحمر) بجزأيه.

وبالفعل اتفقت مع الرئيس السادات لتلبية رغبته، وان كنت قلت له إن مؤسسة (روز اليوسف) الآن كيان متماسك يجب ألا يدخل عليه أى عنصر غريب، ومن الممكن بعد استقالتى أن يرشح أحد من كبار الصحفيين فيها لرئاسة مجلس الإدارة، ومن ثم، رشحت كلا من (حسن فؤاد ـ رحمه الله ـ وصلاح حافظ، وبوليس جريس)، وطلبت من السادات أن يوافق على أى منهم، ووافق ـ بالفعل ـ وطلب منى تأكيدا لهذا أن أذهب لممدوح سالم رئيس الوزراء وعبد المنعم الصاوى وزير الاعلام، لنتفق ثلاثتنا ـ سالم والصاوى وأنا ـ على أى اسم نختاره.

وبالفعل ذهبت فوجدت ممدوح والصاوى فى انتظارى وتحدثنا واعدت عليهم ماقلت للرئيس السادات من أن دخول أى عنصر غريب للمؤسسة يمكن أن يحدث آثارا سلبية فيها، وخاصة، أن روز اليوسف كانت قد وصلت فى هذا الوقت فى

توزيعها إلى ربع مليون نسخة، وكان هذا يشكل عبئا شديدا علينا لأننا فى هذا الوقت كنا نحصل على ورق يكفى بالكاد (١٥,٠٠٠) خمس عشر ألف نسخة، وبعد مجهودات شاقة تمكنا من الحصول على ورق يكفى (٣٠,٠٠٠) ثلاثين ألف نسخة، وكنا نشترى الباقى من السوق الحرة، فى وقت كانت لنا سياسة خاصة فى الاعلانات فلا نقبل أى اعلان مخالف لخط المؤسسة.

وعلى هذا النحو، كان طبع كميات كبيرة يشكل علينا عبئا أكبر وخسائر فادحة حتى لقد اضطررنا إلى الأكتفاء بطبع (١٥,٠٠٠)خمسة عشر ألف نسخة فقط كانت توزع كلها.

المهم، اتفقنا نحن الثلاثة (الصاوى وسالم وأنا) على اختيار أحد الذين عرضت أسماءهم من داخل المؤسسة، واقتنعا بالفعل ألا يخرج الأختيار عن واحد من الثلاث الذين أشرت إليهم من داخل المؤسسة.

ولاأعرف ماذا حدث بعد ذلك، غير أننى فوجئت ان احدا من هؤلاء لم يعين، بل وعين زملاء أعزاء من خارج مؤسسة (روز اليوسف).

*** ماهو موقف المثقف خارج اطار المسئولية الرسمية؟**

ـ بعد تقديم استقالتى مباشرة أصدر الرئيس السادات قرارا يقضى بتعيينى سكرتيرا عاليا للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية (المجلس الأعلى للثقافة الآن) وذلك بدرجة وزير، وكاتبا غير متفرغ بجريدة الأهرام، وأذكرأن المرحوم على حمدى الجمال ـ وكان رئيسا لتحرير الأهرام ـ قال لى بأن الرئيس السادات اتصل به وطالب بتوفير الضمانات الكافية لكفالة حريته فى التعبير.

وطبعا كان ذلك غير ممكن لأن بعض كتاباتى اصطدمت بالخطر العام، وإن كان الجمال فعل مافى وسعه لنشر كل ماكتبته، وكان هذا موقفا حميدا لعلى حمدى الجمال، ومع ذلك، فإن بعضا من مقالاتى منعت حينئذ، وأذكر منها مقالات كثيرة لنقد استغلال الدين واستغلال شعار الدولة (العلم والإيمان) والتحذير من هيمنة التطرف الدينى، وأيضا أذكر أنه تم منع مقالة لى كانت بداية لسلسلة أخرى من المقالات أطالب فيها بعدم توقيع معاهدة سلام مع بيجين لأن الطبقة

الحاكمة فى إسرائيل لاتريد السلام ولن تحترمه، وستحاول أن تمزق الصف العربى وأن تنتزع منا أكثر من حقوقها التى تطالب بها بالفعل، وسوف تهدر حقوق الشعب الفلسطينى.

وقد طالبت فى هذه المقالات أن يتم توقيع المعاهدة فى حالة واحدة، هى فى إطار حل شامل ومن خلال لقاء يشترك فيه جميع أطراف القضية المعنية باشراف الأمم المتحدة وبحضور الأعضاء الدائمين بمجلس الأمن، وبالطبع، فى طليعة الأطراف المعنية كانت منظمة التحرير، غير أن مثل هذه المقالات لم تنشر خاصة وقد كنا فى الفترة التى تسبق مفاوضات (كامب ديفيد) بوقت طويل، وعندما أعلن عن بدء هذه المفاوضات. وأذكر أننى قد قلت حينئذ ان اسرائيل ضيعت فرصة تاريخية بعد زيارة القدس التى قام بها الرئيس السادات لاقامة السلام فى العالم وهو يهم المجتمع الدولى، غير أن هذا النوع من الكتابة لم ينشر أيضا، والأكثر من هذا أنه تسبب فى نوع من الجفوة بينى وبين السلطة الرسمية فى مصر.

وقد سألت الرئيس السادات بعد ذلك عن السبب الذى جعله يمنع مقالة حول هذه القضايا السياسية، إذ بلغنى أنه حين استأذن فيه فمنعه، فقال لى إن مثل هذه المقالة يستغلها بيجين لإفساد كل مايمكن أن نحصل عليه من مكاسب، وقال لى أنه يعانى الكثير من مفاوضاته مع الإسرائيليين، وفى سعيه للحصول على السلام لتحرير الأرض العربية المحتلة، وأن مثل هذا المقال سيعرقل جهود تحرير الأرض.

وكان من المفهوم أن تحرير الأرض المحتلة يبدأ من سيناء ثم بقية الأرض بعد ذلك حين يشترك كل الأطراف المعنية فى المفاوضات.

وأذكر أن أنور السادات أسر لى فى هذا الوقت أنه يبذل قصارى جهده لانتزاع أقصى مايستطيع انتزاعه من بين أنياب الأسد، ومن يستطيع أن يحصل على أكثر من ذلك، فليتفضل، وسوف يمضى تحت قيادته.

*** فما هى حدود موقف الحاكم من المثقف فى هذا الوقت؟**

ـ إن موقف السادات العنيف من المثقفين كان رد فعل لموقف المثقفين منه، فكلما كان الموقف عنيفا ازداد رد الفعل عنفا، ومع ذلك، كان السادات يحترم كثيرا مثقفين عديدين من أمثال توفيق الحكيم وإبراهيم المصرى وعبد الرحمن الأبنودى، وأشهد أن السادات أشاد أكثر من مرة بهؤلاء.

وقد كان موقفه الخاص كما اسلفت هو رد فعل عنيف لما يراه من أولئك الذين يهاجمونه، ومع الأسف، فقد كان هناك ـ بالفعل ، تطرف من المثقفين، وعلى العكس، فإن أى مثقف كان له موقف مؤيد أو مشايع للسادات كان يتهم بأنه عميل له.

وهذا موقف للمثقف نراه بالنسبة للسادات بل وبالنسبة لعبد الناصر قبله.

وقد يكون من نافلة القول أن أعيد ذكر موقف عدد كبير من مثقفى اليسار منى حين كتبت عن باندونج، فقد هوجمت بعنف من بعض هذه الأقلام، وخلال منشورات صبيانية، واتهمنى من اتهمنى بأن باندونج خديعة وأن الإمبريالية خدعت الصين والسوفييت، وبأننى كتبت تأييدا لباندونج لأن السادات ـ هكذا قالوا ـ اشترانى!!، وقد كان السادات فى هذا الوقت مشرفا على صحيفة الجمهورية.

والغريب أن هذه الاقلام التى هاجمتنى عملت، فيما بعد، فى خدمة الثورة، بعد أن قطعت الحجر فى الجبل مع الأسف، ولاأستطيع القول أن هذا خطأ اليسار، وإنما هو تطرف بعض اليسار، فإن اليسار الواعى كان يؤيد الثورة ويحاول تقويمها بتصحيح مسارها وذلك بالاشارة إلى أخطائها.

ومع أن هذه الاقلام كانت قد هاجمت من قبل رواية (الأرض) وراحت تتهمها بأنها مكتوبة لحساب البرجوازية المصرية، فقد كانت مفاجأة لأصحاب هذا الأتهام أن أول ترجمات باللغات الأجنبية ظهرت لرواية (الأرض) بلغات البلاد الاشتركية ذاتها.

وأذكر بهذه المناسبة أن أنور السادات حينما عدت إلى الجمهورية فى عام ١٩٥٥ كنت أتقاضى (١٠٠) مائة جنيه فى وقت كان هناك عشرات من الكتاب الآخرين بالصحيفة يتقاضون اضعاف هذا المبلغ، وأكثر منه بكثير، وكان أكبر مرتب يتقاضاه رئيس التحرير لايجاوز (٣٠٠) ثلثمائة جنيه، بل كان هناك من يتقاضى مبلغ وصل إلى (٥٠٠) خمسمائة جنيه.

وعلى أية حال، فإن هذا الموقف الظالم منى كنت أراه موقفا طفوليا، ومع الأسف الشديد أن هذا الأسلوب اتبع مع عبد الناصر من قبل فضرب على أيدى أصحابه بعنف، وحين اتبع نفس الأسلوب مع السادات فيما بعد كان رد فعله عنيفا أيضا.

*** أين تضع نفسك فى خارطة التصنيفات المألوفة: يمين، يسار، تقدمى، ماركسى، وسط.. إلى غير ذلك؟**

ـ أنا ضد مثل هذه التصنيفات، وأنا موقفى يتحدد فى انحيازى للحق والحرية والشعب، ويتحدد أكثر بالانحياز الواضح والصريح إلى هذا المعسكر الأخير.. الشعب.

وإذا أردت التوقف عند التفكير الذى يتخذ سمة دينية، فإننى أقول، أن الفكر الحقيقى يجب أن يكون دائما لتحقيق الهدف الأسمى، وهذا الهدف الاسمى لايخرج بأية حال عن تكوين (مجتمع فاضل).

وعلى أية حال، إذا كان هناك من يصفنى، أو يتهمنى (بالبرجوازية) وهو ماحدث أكثر من مرة حين ترددت مثل هذه التسميات مقترنة بشخصى، فأعتقد أنه متأثر بتفسير كان شائعا فى بداية قيام ثورة ٢٣ يوليو حين قيل أنها (انقلاب عسكرى أو أمريكى)، وقد كنت أنا أحد الذين رأوا فى الثورة خطوة للإمام.

لقد أصر البعض على كتابة منشور سرى، وكانوا وراء أنتشار الرأى الذى يذهب ـ كما أسلفت أكثر من مرة ـ إلى أن رواية الأرض إنما هى خدمة للبرجوازية، وإن الثورة التى عملت الإصلاح الزراعى، إنما هى فى خدمة كبار الملاك، أو أن العسكر فى خدمة الاقطاع.

لقد عدل أولئك جميعا من أتهاماتهم، بعد سنوات من إلقاء الرأى جزافا، وعملوا مع الثورة، والأكثر من هذا كله، أنهم كانوا من جنودها، لقد وضعتهم الثورة فى مواقع المسئولية فى مؤسسات كثيرة إعلامية وثقافية وحتى اقتصادية، ولم تكن الثورة تفعل ذلك لولا أنها استفادت بهم حتى وضعتهم فى هذه الأماكن.

إننى أتجنب التصنيفات التى تجمدنى فى (خانة) خاصة، وأقرب ماأستطيع أن أقوله، إننى أدافع عن القيم الإنسانية الحقيقية من عدل وحرية وحقوق الإنسان، ورأيى الذى لم يتغير، هو: إن الإسلام يحقق تقدم الإنسان، وإن الإسلام يغنى عن أى رأى ومذهب آخر، من فهمه فقد فهم الفكر الصحيح الذى يجب أن يسود عصرنا، ولو أن العلماء المسلمين قاموا بواجباتهم الدينية لما حدث هذا الخلط.

أين الشجاعة فى الرؤية التى أظهرها إسلافهم ونافحوا عنها فى العصور السابقة؟

إن السيد عمر مكرم ابلغ الأدلة على صدق هذا الرأى.

*** إن السيد عمر مكرم، على سبيل المثال، كان مسلما متمسكا بدينه، فى وقت كانت مواقفه تدل على أنه رجعى شديد الوجعية.. فما رأيك؟**

- إن منهجى فى فهم الشخصيات الإسلامية كلها يبدأ من ضرورة الحكم على شخص فى إطار مجتمعه أى فى ضوء العصر والظروف التى وجد فيها.

ومن هنا، فإن السيد عمر مكرم، كان، بمقاييس عصره، رجلا مستنيرا متقدما، أليس من أجل هذا نفاه محمد على.

إن هذا ليذكرنى بشئ هام، هو: إننى كتبت عن السيد عمر مكرم رواية صدرت فى عام ١٩٤٦ وصودر معها عدد من القصص القصيرة والقصائد، بل ومعظم ماكتبت فى هذه الفترة صودر أيضا ضمن ماكان يصادر فى حملات متتالية كثيرة، بل واستمرت هذه المصادرات بعد الثورة أيضا، إذ صودر لى الكثير من أعمالى الابداعية وخاصة بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

ومن ذكريات هذه الفترة أن زوار الفجر وجدو كتابا مجلدا بجلدة (حمراء) فصادروه دون أن يفتحوه، وما كنت حاضرا تبرعت بأن شرحت لهم أن هذا الكتاب لايعدو أن يكون ديوانا للشاعر المتنبى، وأنى اشتريته بغلافه الأحمر.

وسألت: فلماذا تستولن عليه وتصادرونه؟

لم أجد إجابة كافية، وإنما رأيتهم يضعونه ضمن المصادرات والمضبوطات على اعتباره قرينة على، ولم لا فإن الغلاف الأحمر قرينة على أننى من ذوى الاتجاه الأحمر(١٧).

*** ماهو موقفك الحقيقى من حزب الوفد؟**

هل أنت وفدى من يسار الوفد مع عزيز فهمى ود. محمد مندور؟

- أنا لم أنتم قط لحزب الوفد. وأذكر ونحن طلبة سواء كنا فى ابتدائى أو ثانوى أننا كنا وفديين، نسمع عن الوفد. والشعار الذى كان يتردد كثيرا فى هذه الأيام

(يحيا سعد) و(الاستقلال التام أو الموت الزؤام)، وعن الدستور والديمقراطية وبقية شعارات الوفد حينئذو نسمع عن كل مايجرى بين الوفد الوطنى والإنجليز المحتلين، أذكر هذا كله.. لكننى أذكر معه أننى لم أكن قط ضمن (كوادر) حزب الوفد.

لقد كنت فى حزب (مصر الفتاة)، وفى اللجنة التنفيذية العليا التى كانت تجاور الوفد، وكنت إلى ذلك صديق الوفديين.

*** لاحظت أن قضيتك الاساسية منذ البداية كانت الصراع الذى ينشأ بين طبقتين، وخاصة فى رواية (الأرض) أول أعمالك الروائية، وقد تبلور هذا الصراع وتطور فى تراجم (الأئمة) بتحويل الطبقتين إلى فكرتين، إحداهما تحمل معنى الحرية والسلام والعدالة إلى غير ذلك، أما ثانيتهما فتحمل المعنى المناقض تماما.**

ترى ماهو رأيك؟ وماقضيتك الآن؟

ـ هذا صحيح، فإن فكر أى أمام فريق من الذين كتبت عنهم، وخاصة (الائمة)، إنما هو الفكر المطوع لصالح الأمة، فى مواجهة طبقة تستغلها أو تقهرها، حتى ولو كان أحد هؤلاء الائمة غنى مثل الليث بن سعد.. فهو أيضا، مع غناه، كان يمثل فكر الشعب، وكان يقاوم الحاكم الظالم والاستغلال، حقيقة كان أغنى الائمة، فكان لديه الاملاك الكثيرة جدا، بل كان لديه الجيزة كلها والفرما.. ومع ذلك، كان واعيا منصفا وكان تقيا، فكان معظم دخله ينفقه على الفقراء فقراء العلماء وفقراء أصحاب الحاجات.

لقد أرسل إليه الإمام مالك ـ على سبيل المثال ـ يطلب منه بعض مايجهز به ابنته فأرسل إليه قافلة كاملة.

أما قضيتى الآن،فهى قضيتى الدائمة منذ اخترت الكتابة أداة للتغبير.

التاريخ / الذات

*** لماذا اخترت التاريخ والتراث لتكتب فيهما أغلب أعمالك الأدبية والفكرية؟**

ـ ليس صحيحا أن أغلب أعمالى الأدبية ـ على الأقل ـ تعتمد على التاريخ، ولو أننى اخترت التاريخ إطارا لها، ولكن بعض هذه الأعمال اخترت التاريخ إطارا لها البعض لا الأغلب.

ومن يقرأ التاريخ ويستوعبه يجد أن المظالم والآلام كانت أكثر مما هى فى الواقع الحى والحياتى اليوم، ورغم ذلك، فقد انتصرت المقاومة ضد الظلم، وانتصرت جهود الإنسان بفضل التحرير نفسه الذى كان يقوم به، واستمتاعه بالعدل وحياة أفضل، وفى هذا كله مايبعث فى إنسان اليوم بثقة كبيرة ساعتدته على أن ينتصر على كل أعدائه وتحريرخطواته نحو التقدم ليصنع لنفسه وللحياة القادمة حياة أفضل.

وعلى أية حال، فأننى حينما أكتب فى التاريخ فهو بمثابة الإطار لكى أعالج من خلاله قضايا الحاضر.

ومهما يكن، ربما كان هذا الإطار فى إقناعه أحيانا أبلغ فى التاريخ أو غيره، فهو يركز على المقاومة، ويعطى المقاوم الثقة دائما فى غده

*** لنتوقف عند أول أعمالك القصصية (أرض المعركة)، لقد تلمست التاريخ على حساب الفنية..**

فما هو منهجك الفكرى فى هذه القصص الأولى؟

ـ لاتنس أننى فى مقدمة (أرض المعركة) ذكرت فيها مايلى:

«هذه مجموعة صور من كفاحنا الشعبى، وهى ليست قصصا بالمعنى الفنى، وليست تاريخا بالمعنى العلمى.. ولكنها صور استقرأتها من التاريخ ومن حكايات الناس فى قريتى.. لم أضف إليها شيئا ولم أعمل خيالا.. فكل مافيها يعتمد على واقع تاريخى صحيح..»[١٨].

إذن، لاحظ أننى ذكرت أنها (صور من كفاحنا)، فهى فى الواقع صور كثيرة منها قصص. وقد كتبتها فى فترة مظلمة جدا من تاريخنا، لقد كان الشباب فى هذه الفترة يائسا جدا، وكان لابد أن أضع أمامه صورا من كفاحنا الشعبى فى هذه الفترة العصيبة، وماكدت أصل فى نشر هذه القصص إلى قصة بعنوان (الرأس الثانى) حتى فصلت من جريدة «المصور»، وكان العام عام ١٩٥١.

لقد كانت القصة تصور ثورة الناس أيام مجاعة فى وقت كان فيه الجميع يعيشون فى هذه المجاعة ولايجدون مايقتاتون به، وكان لديهم استعداد ليلتهموا أى شئ من قسوة المجاعة وهولها، حتى إذا مارأوا الحاكم، الثرى، يخرج ببغلته مزهوا شبعا، وهى تهتز ذات اليمين وذات اليسار، حتى هجموا وقطعوا رأس البغلة ليأكلوها، وهتف الناس على الرأس الثانية.

وهنا، فهمت القصة على أنها تحريض صريح على قتل الملك.

ومن ذكريات هذه الفترة وأنا فى دار الهلال، أن أميل زيدان، وكان مسئولا عن التحرير، انبأنى فى أدب جم واعتذار هادئ، قال:

ـ أنا مضطر لأنهاء العقد المبرم بينك وبين أصحاب الدار.

ـ لماذا؟

قال بصراحة تامة:

ـ إن ذلك أمر (السراى) وهو أمر لايمكن اغفاله.

ـ لماذا؟

ـ لأن القصة تعنى لدى القصر، أو على الأقل كما فهمت، على أنها تحريض (على قتل جلالة الملك).

*** والآن، بعد ثلث قرن، هل هذا بالفعل ماكنت تعنيه؟**

ـ أصدقك القول الآن، أنني فى هذا الوقت لم أكن أقصد قط هذا المعنى، فأنا بطبيعتى ضد القتل والاغتيال بأية صورة.

*** هل يمكن اعتبار رواية (الأرض) ترجمة ذاتية لك، وخاصة، أن الراوى يتردد فيها فى الأجزاء الثلاثة الأولى، ثم بدءا من الفصل العشرين؟**

ـ بالفعل، فى رواية (الأرض) بعض أجزاء من حياتى، وبعض الجزئيات عن انطباعاتى فى فترة مبكرة من عمرى، وإن كانت بعيدة، كما أنها تختزن الأحداث، ولكن هذا لاينفى أن فيها الكثير من خطوط الترجمة الذاتية.

وعلى سبيل المثال، فإن قصة الطريق الزراعى قد حدثت حقيقة فى قريتنا وفى القرى المجاورة، كما أن نزع الأرض حدث بالفعل.

*** هل أنت تمثل شخصية (عبد الهادى) شخصية (الأرض) العذبة؟**

ـ يحتمل، لااستطيع الجزم..

*** فى «الشوارع الخلفية».. ماهى أقرب الشخصيات إليك التى يمكن أن تعد كترجمة شخصية لسيرتك الذاتية، أوـ حتى الشخصية التى تقترب إلى حد ما من الترجمة الذاتية لك؟**

ـ هذه الرواية تعد، بالفعل، ترجمة شخصية لى، ومن الجائز أن يكون فى كثير من شخصياتها شئ منى، أو فى بعض شخصياتها على الأقل، ولكننى أشعر، الآن، بعد مضى سنوات طويلة، أن (شوقى) هو أشبه الشخصيات بى.

إن شوقى ألصق الشخصيات بشخصيتى.

وعلى أية حال، فإن الرواية ليست ترجمة ذاتية بالمعنى المعروف، ومامن شئ كتبته هو ترجمة ذاتية خالصة لى.

ومع ذلك، وكما سبق أن أشرت، فاننى أستطيع القول، أننى فى رسمى لبعض الشخصيات طرزت أشياء منى ربما بدون وعى أو بدون إرادة، وتركت أشياء أخرى، أكيد أن ذلك كان بوعى وبارادة..

وفى جميع الحالات لاستطيع الجزم بهذه أو تلك الآن.

*** لنقترب أكثر، إن عبده في (الشوارع الخلفية) يحمل عبق الدين واصالته، كما أنه يمثل أكثر الأصوات صدقا في هذه الرواية، ترى، هل أنت (عبده)؟**

قال عبد الرحمن الشرقاوى بحيرة:

ـ لاأعرف.

*** في الترجمة الغيرية عن (الليث بن سعد)في (الائمة) أحسست انك تتحدث عن نفسك وليس عن الفقيه المصرى الذى تكتب عنه.. هل هذا صحيح؟**

ـ لقد وجدت الليث قريبا من نفسي، قريبا جدا أكثر من سواه، أكثر ممن قرأت لهم أو كتبت عنهم من الفقهاء الآخرين فى كتاب (ائمة الفقه التسعة)، لذلك، جهدت كثيرا لأبحث له عن مخطوطات.

وبذلك، تمنيت لو أن هذا الفقيه الجليل كان قد لقى من العناية ماتوفر للفقهاء الآخرين، وقد سبق وأن قال عنه الإمام الشافعى:

«الليث أفقه من مالك غير أن المصريين أضاعوه».

*** محاولة أخيرة للبحث عن الخيوط الذاتية في أعمالك المصادرة، في الفترة بين عامي ٤٦/ ١٩٥٢ صدر لك أصول (ديوان شعر) و(أصول) كتب أخرى مجهولة.. ماهي هذه الكتب ودلالاتها؟**

ـ فى أوائل الخمسينات صودر شعر وقصص كثيرة إلى جانب كتاب كنت قد أعددته عن السيد (عمر مكرم)، وهو عبارة عن (صورة قلمية)، كما صودرت دراسة عن شعراء المقاومة، من أول (فيون) وحتى (أراجون) بعنوان (شعراء المقاومة).

يأتى بعد ذلك كتاب آخر صودر فى أول الثورة، بل فى أول أيام الثورة، وهو كتاب ـ على العكس من الأعمال السابقة ـ كان مطبوعا، وكان عنوانه (شعب وجيش) فى ملحق الأعداد الأولى من مجلة (التحرير) التى كانت تصدر كل

أسبوعين، وكان فى هذا الكتاب تفصيل لما يجب أن تكون عليه الثورة الجديدة. غير أن بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة ثاروا عليه واتهموه بأنه كتاب شيوعى.

ومع أن هذا الكتاب كان يوزع مع المجلة، وقد كانت تصدر كل أسبوعين، فإن ذلك لم يشفع له، فصودر.

قد يكون هذا باعثا للكشف عن بعض المساحات البعيدة فى السيرة الذاتية أو الترجمة الذاتية لى.

« ٣ »

وثائق

السيد الدكتور مدير البحوث والنشر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فأرجو التكرم بالموافقة على فحص مسرحيتي " الحسين ثائرا " " والحسين شهيدا " وظهورهما على المسرح . على أني قد أجريت تعديلات بحيث لا تظهر شخصية الحسين أو شخصية السيدة زينب بل يلقى الكلام المنسوب إليهما عن طريق الراوى والرواية على أنى على استعداد للمناقشة إذا احتاج الامر .

ولكم خالص الشكر والاحترام ،،،،

عبد الرحمن الشرقاوى

١٧ . شارع المتحف الزراعى ــ الدقى تليفون ٨٠٢٠٣٥ .

١٩٧٠/٧/٨م .

صورة طبق الاصل

١ ـ طلب فحص مسرحيتي الحسين ثائرا والحسين شهيدا.

AL-AZHAR
Academy of Islamic Research
(Research & Publication Dept.)
Cairo, U. A. R.

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية
إدارة البحوث والنشر

السيد الأستاذ / عبد الرحمن الشرقاوى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد

فبناء على ما جاء بطلبكم المؤرخ ١٩٧٠/٧/٨ بخصوص [illegible] مسرحيتكم "الحسين ثائرا" تمهيدا لتمثيلها على المسرح أو الشاشة .

نفيدكم بأنه بعد مراجعة المسرحية المذكورة ، نرى أنه لا مانع من تداولها [illegible] ، مرئية أو مسموعة ، أو ممثلة على المسرح أو الشاشة ، وذلك بعد ملاحظة ما يأتي :

١ ـ التصحيحات الواردة بالصفحات ٢ ، ٩ ، ١٥ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ٥٧ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٤ ، ٩٥ ، ١١٢ ، [illegible] ، [illegible] ، ١٦١ ، [illegible] ، ٢١٢ ، التي نرجو تعديلها حسبما جاء بالنسخة الأصلية المحفوظة لدينا والتي [illegible] بمعرفتنا [illegible] منكم .

٢ ـ الالتزام بعدم ظهور شخصية الحسين والسيدة زينب [illegible] على المسرح أو الشاشة حسب تعهدكم المكتوب والموضح بطلب الفحص سالف الذكر .

٣ ـ عرض المسرحية علينا مرة ثانية بعد تمثيلها وقبل عرضها على الجمهور حتى يمكن التأكد من تنفيذ هذه الملاحظات .

والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

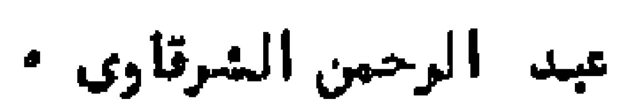
مدير
إدارة البحوث والنشر
[illegible]
١٩٧٠/٨/٤
(دكتور ـ أحمد إبراهيم مهنا)

تحريرا في أول جماد الثاني سنة ١٣٩٠ هـ
الموافق ٤ من أغسطس ١٩٧٠ م
[illegible] ،،،

٢ ـ خطاب الإدارة للسيد الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى بخصوص فحص مسرحية الحسين ثائرا.

ملحوظـــــة هامــــة :

كلمـــا يعنى أن يظـــهر الحســـين أو الســـيدة زينب وفـــق النــــص المطبوع ،ظهر الراوى والراويــــة ليلقى كل منهما الكلام المســـند الى الشخصية فى النص المطبوع مسبوقا بهذا القول : قال الحســـين أو قالت السيدة زينب او رد الحســـين أو ردت السيدة زينب وهكذا ... ويتكرر هذا بالقدر الذى يرسى فى ضمير المشاهد أنــه يرى ويسمع راويا وراويــــة ، وبحيث لا يخل فى الوقت نفسه بقدرة المشاهد على الانفعــــال .





٣ ـ ملحوظة بخط السيد الشرقاوى بخصوص عدم ظهور شخصية كل من سيدنا الحسين أو السيد زينب.

الأزهـــــر
مجمع البحوث الاسلامية
إدارة البحوث والنشر

" بســـم الله الرحمن الرحيم "

السيد الاستاذ عبد الرحمن الشـــرقاوى .

السـلام عليكم ورحمة الله وبركاتـه " وبعد

تود إدارة البحوث والنشر أن تذكر سيادتكم بما هو مدون فى الكتب المرافقة والخاصة برأى الادارة فى مسرحية " الحسين ثائرا " وأن رأيها - الذى وافقتم عليه - هو أن شخصية سيدنا الحسين والسيدة زينب لا تظهر أبدا بل يستبدل بهما راو أو راوية .

هذا وإدارة البحوث والنشر يدفعها حرصها على توضيح ذلك إليكم وتذكركم به إثر ما نشر فى جريدة الاهرام بتاريخ ٢٠ من أكتوبر سنة ١٩٧١م من صور وتعليقات خاصة بهذه المسرحية .

ونرجو أن يوفقكم الله الى إبراز هذه المسرحية فى الاطار الذى التزمتم به كتابة حتى لا تحدث أمور لا تحمد عقباها . علما بأن مسرحية الحسين شهيدا " لم يصدر فيها رأى بعد .

والسـلام عليكم ورحمة الله وبركاته ....

تحريرا فى ٢ من رمضان المبارك ١٣٩١هـ
الموافق ٢١ من أكتوبر ١٩٧١م.

مدير
إدارة البحوث والنشر
(دكتور أحمد إبراهيم مهنا)

المرفقات . عدد المرفقات
١ ـ طلب فحص مسرحيتى الحسين ثائرا والحسين شهيدا .
٢ ـ خطاب الادارة للسيد الاستاذ عبد الرحمن الشرقاوى بخصوص طلب فحص مسرحية الحسين ثائرا
٣ ـ ملحوظة بخط السيد الشرقاوى بخصوص عدم ظهور شخصية كل من سيدنا الحسين أو السيدة زينب
٤ ـ خطاب الادارة للسيد الاستاذ مدير جريدة الاهرام .

٤ ـ خطاب الإدارة للسيد الأستاذ عبد الرحمن اشرقاوى بخصوص الصور والتعليقات التى نشرت فى جريدة الأهرام فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٨١,

الأزهر

الإدارة العامة لمجمع البحوث الإسلامية

إدارة البحوث والنشر

السيد الأستاذ المحترم مدير تحرير جريدة الأهرام

السلام عليكم ورحمة بركاته ـ بعد

فبالإشارة إلى ماجاء بجريدة الأهرام بعددها الصادر فى ٢٠ من أكتوبر سنة ١٩٧١ والخاص بمسرحية (الحسين ثائر) للأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى.

يسرنا أن نبعث إلى سيادتكم صور الرسائل بين إدارة البحوث والنشر وبين الأستاذ الشرقاوى فى هذه المسرحية.

رجاء التفضل بالتنبيه فى الجريدة إلى ماجاء فى تلك الرسائل. توضيحا للحقائق وإظهار للموضوع من كل جوانبه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحرير فى ٢ رمضان ١٣٩١هـ

الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٧١م

دكتور أحمد إبرهيم مهنا

مدير

إدارة البحوث والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

١٩٧١/١٠/١٦ .... المسرح القومى

تم الأخذ بالملاحظات التى جاءت بتقرير الرقابة على النسخة الأولى وأرسلت للرقابة، ووردت موافقة الرقابة على النسخة الأولى وأرسلت للرقابة، ووردت موافقة على النسخة الثانية بتاريخ ١٩٧١/١١/٢٢ تحت رقم ٢١٨ .. وبدأت التدريبات.

* * *

١٩٧١/١١/٢٢ .. الرقابة على المصنفات الفنية.

لا مانع من الترخيص بالعرض العام لهذه المسرحية، ثأر الله للمسرح القومى مع مراعاة تنفيذ الملاحظات الآتية.

أولا: الالتزام بتنفيذ الملاحظات التى أبدتها الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية وإدارة البحوث والنشر بالأزهر الشريف، كما بتقريرها الوارد للرقابة وهذه الملاحظات هى:

ـ الالتزام بعدم ظهور شخصيتى الحسين والسيدة زينب رضى اللّه عنهما.

ثانيا: الالتزام بتنفيذ الملاحظات الرقابية وهى حذف العبارة الواردة فى ص ٥ (وبشره بالجنة) لزن معاوية ليس من المبشرين بالجنة. وإضافة عبارة يقول الحسين رضى اللّه عنه فى ص ١٠، ١٣ حيث إنها أول وثانى مرة يتحدث فيها الحسين، وكذا إضافة عبارة «تقول رضى اللّه عنها» فى ص ٣٤ حيث أنها أول مرة تتحدث فيها السيدة زينب وفى جميع المرات.

ثالثا: إخطار الرقابة بموعد التجربة النهائية وحفلة العرض الأولى حيث يتسنى للرقابة إعطاء الترخيص النهائي للمسرحية

إمضاء

مدير الرقابة على المسرحيات

إمضاء المدير العام

١٩٧١/١٢/٩ ... المسرح القومى

ـ أرسل المسرح نسخة المسرحية إلى إدارة البحوث والنشر بالأزهر الشريف للاطلاع والإفادة بالرأى ..

١٩٧٢/٢/٧م .. المسرح القومى.

ـ استمرت التدريبات اليوم، وتجدد إيقاف عرض مسرحية متلوف ٧١ يوم ١٩٧٢/٢/٨ . بناء على طلب السيد الأستاذ مخرج المسرحية وتم اجتماع اتفق فيه على أن تعرض المسرحية يوم الخميس ١٩٧٢/٢/١٧ .

ـ أرسل السيد حمدى غيث المشرف العام على مسرحى القومى والجيب ورقة بها التعليمات بتاريخ ١٩٧٢/٢/٧ . باستمرار عرض مسرحية متلوف ٧١ إلى أن تصدر تعليمات كافية من الهيئة، وأبلغ إلى السيد الأستاذ/ مخرج المسرحية.

١٩٧٢/١/٦ .. المسرح القومى.

«نص خطاب مسئول العلاقات العامة المكلف بمتابعة الحصول على ترخيص الأزهر الشريف» .

ـ السيد الأستاذ/ المشرف العام على المسرح القومى وعبد الرحيم الزرقانى.

تحية طيبة . وبعد

بالإتصال بإدارة الأزهر الشريف للحصول على الترخيص بعرض مسرحية «ثأر الله» وذلك بناء على تكليف السيد المشرف العام على المسرح.

أفاد السادة المسئولين هناك بأنه حتى تاريخه لم يبت فيها بعد، كما إنهم لم يحددوا ميعاد لاستلامها.

وبناء عليه أرجو التكرم بالإفادة إن كان من الممكن البدء فى خطة الدعاية للمسرحية المذكورة أم لا ؟

وذلك نظرا لقرب موعد افتتاحها.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

مسئول العلاقات العامة

بسيونى عثمان

٧٢/١/٦ .. المسرح القومى.

ـ تم تحويل الخطاب السابق للسيد الأستاذ مدير عام الهيئة للتفضل وابداء الرأى.

٧٢/٢/٨ .. مكتب مدير عام الهيئة.

ـ قرار إنهاء عرض مسرحية متلوف ٧١ بعد حفل الثلاثاء ١٩٧٢/٢/٨ والسير فى انتاج مسرحية «ثأر الله» وتحديد موعد العرض يوم ١٩٧٢/٢/١٧ .

ـ نفس التاريخ .. المسرح القومى

استمر العمل فى جميع أفرع انتاج المسرح.

١٩٧٢/٢/١٢ .. الأزهر الشريف.

ـ السيد المشرف العام على المسرح القومى.

السلام عليكم ورحمة الله .. وبعد

بمناسبة مانشر فى صحيفة الأهرام فى يومى ١٩٧٢/٢/١١ عن المسرحية المسماة «ثأر الله» والمقدمة إلى الإدارة لفحصها والخاصة بتحديد موعد عرضها على الجمهور ..

يسرنا أن تعلموا أن المسرحية المذكورة لازالت قيد البحث . وإن إدارة البحوث والنشر، لاتتحمل تبعة عرضها على الجمهور، قبل البت فيها كما أنها لاتود أن يتحمل غيرها تلك التبعة.

والسلام عليكم ورحمة الله

تحريرا فى ٢٧ من ذى الحجة ١٣٩١ هـ

الموافق ١٢ من فبراير ١٩٧٢م

مدير إدارة البحوث والنشر

د. عبد المهيمن محمد الفقى

صادر البحوث والنشر ١٢/٢/١٩٧٢م

١٤/٢/١٩٧٢ .. مكتب مدير عام هيئة المسرح .

ـ السيد مدير عام المسرح القومى ـ احتراما . وبعد

نظرا لعدم وضوح الموقف بالنسبة لعرض مسرحية ثأر الله وفى ضوء موقف الأزهر الشريف الذى لم يتحدد بعد.

أرجو مراعاة مايلى:

١ ـ إيقاف حملة الدعاية الصحفية وغيرها.

٢ ـ تغطية تاريخ العرض المكتوب على لوحات الإعلان وذلك اعتبارا من اليوم ١٣/٢/١٩٧٣، وإلى أن تصدر توجيهات.

ـ المسرح القومى ....

السيد السكرتير الفنى

ينفذ فورا (تعليمات مدير عام الهيئة السابقة اعلاه)

إمضاء

مدير المسرح القومى

عبد الرحيم الزرقانى

١٩٧٢/٢/١٢ ... المسرح القومى

السيد / مدير إدارة البحوث والنشر

بالأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

تحية طيبة وبعد.

فردا على كتابكم بتاريخ ١٢ فبراير ١٩٢ بشأن تحديد موعد عرض مسرحية «ثأر الله» على الجمهور بتاريخ ١٩٧٢/٢/١٧ وأنها لازالت قيد البحث. وأنكم لاتتحملون تبعة عرضها على الجمهور ..

أفيد سيادتكم .. أن سبق أن أرسل إلى الإدارة النص النهائى للمسرحية بتاريخ ٧٢/٢/٩ لفحصه. وللآن لم نتلق ردا. فوجئنا بخطابكم المؤرخ ٧٢/٢/١٢ برجاء سرعة فحص المسرحية والرد علينا قبل موعد العرض والمحدد له ١٩٧٢/٢/١٧ . أى قبل موعد العرض على الجمهور بيوم واحد.

١٩٧٢/٢/٢٠ .. المسرح القومى

السيد/ السكرتير الفنى

توقف تدريبات مسرحية «ثأر الله» لحين صدور تعليمات أخرى، وحتى تتضح نتيجة المساعى والاتصالات التى تبذل بشزن التصريح بعرض المسرحية.

المشرف العام على المسرح القومى

عبد الرحيم الزرقانى

ـ السيد/ مدير الشئون المالية والإدارية

ـ السيد/ مدير خشبة المسرح امضاد : عبد المنعم كرار

ـ السيد / رئيس قسم الدعاية امضاء: بسيونى عثمان

ـ السيد/ مهندسة الديكور/ امضاء: أسماء محمود

برجاء العلم والتوقيع

السكرتير الفنى

لمعى يوسف

١٩٨٢/٢/٢٠

١٩٧٢/٢/١٥ .. طبق الأصل من نص تقرير المسرح القومى .. هام جدا

.. توجه الأستاذ/ مدير المسرح القومى إلى الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، وقابل السيد/ الأمين العام المساعد والسيد/ مدير إدارة البحوث والنشر، وأخبر أنه قد تكونت اللجنة الفنية لفحص المسرحية لابداء الرأى فيها سواء بالقبول أو الرفض، على أن يحدث اتصال تليفونى اليوم ٧٢/٢/١٥ بعد الساعة العاشرة صباحا، لتحديد الموقف اللازم للجنة ابداء الرأى كطلب السيد/ مدير المسرح القومى، للتصرف على ضوء هذا التاريخ وقد تم اتصال بهم فى تمام الساعة الحادية عشر والربع، ولم نجد فضيلة الشيخ عبد المهيمن محمد الفقى ـ وبعد حوالى ربع ساعة اتصل بنا فضيلته وزخطرنى بزن اللجنة سترد علينا بخطاب يصلنا صباح الخميس القادم ١٩٧٢/٢/١٧م

وبناء عليه:

.. حوِّل موضوع البدء فى انتاج المسرحية وإجراء التدريبات عليها قبل الموافقة النهائية على المسرحية إلى النيابة الإدارية للتحقيق فيه ـ وقيد برقم (القضية ٢٩ سنة ١٩٧٢ ثقافة).

إمضاء

وكيل النيابة الإدارية

القرار ـ لا مانع من الترخيص بعضر المسرحية عرضا تاما بشرط أن يراعى بكل دقة مايلى:

.. الالتزام بعدم ظهور شخصيتى الحسين والسيدة زينب رضى الله عنهما.

.. تنفيذ الملاحظات والتصحيحات التى أبدتها الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية، وإدارة البحوث والنشر بالأزهر الشريف كما جاء بتقريرها الوارد للرقابة:

.. حذف كلمة (مومسة) ص ٨٥

.. حذف عبارة «وبشره بالجنة» فمعاوية ليس من المبشرين بالجنة.

.. إخطار الرقابة بموعد التجربة النهائية والعرض، حتى بعد مشاهدتها للنظر فى اعتماد الترخيص بصفة نهائية.

٢٣/٢/١٩٧٢م .. هيئة المسرح -رئيس مجلس الإدارة

* * *

السيد/ الأستاذ مدير المسرح القومى

تحية طيبة وبعد

فقد رأى مجمع البحوث الإسلامية . منع مسرحية «ثأر الله» وحظر عرضها، لذلك تتخذ الإجراءات اللازمة لوقف البروفات. واتخاذ اللازم لعرض مسرحية «عفاريت مصر الجديدة» ابتداء من يوم الأحد الموافق ٢٧/٢/١٩٧٢

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

رئيس مجلس الإدارة

عبد الحميد جودة السحار

٢٤/٢/٧٢ .. المسرح القومى

تحية طيبة وبعد

فقد رأى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. منع مسرحية «ثأر الله» وحظر عرضها، لذلك تتخذ الإجراءات اللازمة لوقف البروفات. واتخاذ اللازم لعرض مسرحية «عفاريت مصر الجديدة» ابتداء من يوم الأحد الموافق ٢٧/٢/١٩٧٢

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

رئيس مجلس الإدارة

عبد الحميد جودة السحار

٢٤/٢/١٩٧٢ .. المسرح القومى

تم التنفيذ ...

٢٦/٢/١٩٧٢ .. المسرح القومى

* * *

السيد الأستاذ/ رئيس مجلس الإدارة

تحية طيبة وبعد.

فإيماء إلى المحادثة التيلفونية التى تمت بين سيادتكم وبينى مساء يوم الخميس ١٩٧٢/٢/٢٥ وفى شأن إعادة تدريبات مسرحية «ثأر الله» اعتبارا من يوم السبت ٧٢/٢/٢٦ اتشرف بالإفادة بأننى أوقفت جميع الإجراءات الخاصة بعرض مسرحية متلوف ٧١ التى كان قد تقرر عرضها يوم الأحد ١٩٧٢/٢/٢٧ . وأصدرت التعليمات لعمل الإجراءات اللازمة لإمكان إجراء تدريبات مسرحية «ثأر الله» اعتبار من اليوم الساعة الخامسة ظهرا كطلب السيد مخرج المسرحية.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

المشرف العام على المسرح القومى

عبد الرحيم الزرقانى

.. صباحا .. المسرح القومى

ـ صورة من الخطاب عالية مرسلة للسيد/ مخرج المسرحية للعلم. والمسرح القومى يأسف للظروف المضطربة التى صاحبت انتاج هذا العرض، لأسباب كما تعلمون ليس لنا دخل فيها، ويشيد بالجهود الجبارة التى بذلتموها فى سبيل انجاز هذا العمل الكبير، راجيا زن تكلل هذه الجهود بالنجاح والتوفيق.

المشرف العام على المسرح القومى

عبد الرحيم الزرقانى

١٩٧٢/٢/٢٦ .. السابعة والنصف مساء .. المسرح القومى.

«نص تأشيرة السيد/ كرم مطاوع . مخرج المسرحية ردا على الخطاب السابق» .

.. الأستاذ المشرف العام على المسرح القومى.

تحية طيبة وبعد

أود أن أحيطكم بالتالى:

١ ـ أرجو موفاتي بالأسباب التي أدت إلى إيقاف التدريبات مرتين ثم بالأسباب التي أدت إلى تغيير رأيكم؟ وطلبكم بالتالي إليّ باستئناف التدريبات؟

٢ ـ أرجو أخباري بموعد عرض المسرحية، حتى يتسنى لي تحديد موعد وعدد التدريبات اللازمة لخروج العرض في صورة مشرفة.

وتفضلوا .. تحياتي

كرم مطاوع

١٩٧٢/٢٢٧ .. المسرح القومي

تم رفع تساؤلات المخرج عاليه إلى الأستاذ/ رئيس الهيئة ..

ـ .. المسرح القومي

ـ (نص تأشير ومفاجئة)

ـ تلقيت حديثا تليفونيا من السيد/ رئيس الهيئة بعدم عرض العفاريت .. يوم الأحد .. الاستمرار في تدريبات مسرحية «ثأر الله» بحيث يكون الديكور جاهزا يوم السبت الساعة ٤ مساء .. إلى أن تحضر لجنة من الأزهر لمشاهدة مسرحية «ثأر الله» حوالي يوم الثلاثاء القادم.

المشرف على المسرح القومي

عبد الرحيم الزرقاني

ـ .. السيد كرم مطاوع .. المسرح القومي

تم رفع صورة أخرى من التساؤلات السالفة إلى السيد الأستاذ/ حمدي غيث المشرف العام على مسرحي القومي والجيب وكان رده ..

١٩٧٢/٢/٢٨ .. صورة رد الأستاذ حمدي غيث.

السيد الأستاذ/ المشرف العام على المسرح القومي.

بعد التحية

لعل سيادتكم تعلمون إنني قد طلبت إعفائي من الإشراف على المسرح القومي منذ مدة، ولا علم لي بشئ عن هذه القضية ومازلت على موقفي من هذا الأمر.

مع الشكر . إمضاء حمدي غيث

١٩٧٢/٣/٤ .. الرقابة ــ مكتب المدير العام

السيد/ مدير المسرح القومى .. تحية طيبة ... وبعد

بناء على التعليمات الموجهة رلينا بخصوص مسرحية «ثأر الله» رجاء التفضل بالتنبيه بتغيير اسم المسرحية «الثأر الشهيد»، على أن يلغى الحوار الذ يدور على لسان الراوى والراوية فى بداية المسرحية.

كذلك الرجاء التفضل بالتنبيه بتنفيذ تعليمات الأزهر فيما يختص بعدم ظهور شخصيتى الحسين والسيدة زينب وما يتبع ذلك من تغييرات.

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام

المدير العام

اعتدال ممتاز

٧٢/٣/٦ .. المسرح القومى.

١ ــ سبق إن تلقينا تعليمات شفوية تفيد ذلك بعد بروفة الأربعاء ٧٢/٣/١ وتحدد موعد العرض يوم ٧٢/٣/٥ بناء على تعليمات السيد وكيل الوزارة الأستاذ حسن عبد المنعم.

٢ ــ تم اجتماع بمكتب السيد مدير عام الهيئة لمناقشة تعليمات الرقابة وتعليمات زخرى عرضها السيد وكيل الوزارة الاستاذ حسن عبد المنعم بحضور السيد/ المستشار الفنى الأستاذ/ سيد بدير ومؤلف المسرحية، ومخرجها، وبحضورى وعمل تقرير بعدَ المناقشة لرفعه للسيد نائب/ رئيس الوزراء ووزير الثقافة والاعلام.

وفى انتظار تعليمات سيادته النهائية.

إمضاء

عبد الرحيم الزرقانى

١٩٧٢/٣/٧ .. المسرح القومى ــ مكتب المشرف العام

بناء على المحادثة التليفونية بينى وبين الأستاذ/ حسن عبد المنعم وكيل الوزارة بعد مقابلته للسيد/ النائب وبناء على توجيهاته:

تقرر مايلى:

١ ـ تجرى بروفة غدا باستديو ٥ مساء (إداد تمثيلى، دون ملابس أو مناظر).

٢ ـ ترسل نسخة من الرواية عليها ملاحظات جديدة واجب تنفيذها.

٣ ـ يستدعى الأستاذ/ مخرج المسرحية ومؤلفها لمقابلتى غدا بالمسرح القومى الساعة ١١ صباحا لمراجعة هذه الملاحظات.

٤ ـ ضمن التعليمات حذف كلمات : الكوفة ـ كربلاء .. يزيد .. العراق .. الإمام.

إمضاء

عبد الرحيم الزرقانى

ـ قام السيد الأستاذ / عبد الرحمن الشرقاوى بارسال نسخة من المسرحية ـ بعد تعديل اسمها ـ إلى «شهيد الحق» وطلب تجديد المساعى لعرض المسرحية.

١٩٧٢/٣/١٢ .. هيئة المسرح.

السيد/ مدير المسرح القومى

تحية طيبة وبعد

أرجو عمل الترتيبات اللازمة لعرض مسرحية «عفاريت مصر الجديدة» ابتداء من يوم الخميس ١٦ مارس ١٩٧٢، وذلك إلى أن تصلنا ملاحظات الرقابة بعد مشاهدة العرض الكامل لمسرحية «الثائر الشهيد».

مع فائق الشكر والتحية

مدير عام الهيئة

السيد بدير

١٩٧٢/٣/١٨ .. الهيئة/ مكتب المدير العام

عاجل وهام

السيد الاستذ/ مدير المسرح القومى.

تحية طيبة وبعد.

فنرفق مع هذا صورة كتاب شعبة الثقافة للاتحاد الاشتراكى العربى بخصوص موافاتهم ببعض البيانات الخاصة عن مسرحية «ثأر الله».

برجاد التنبيه إلى موافاتنا بالتقرير المطلوب حتى يمكن الرد.

مع قبول خالص الشكر والتقدير

المدير العام

سعيد خطاب

صورة كتاب شعبة الثقافة بالاتحاد الاشتراكى العربى

السيد الأستاذ/ رئيس هيئة المسرح

تحية طيبة. وبعد

ـ بدأ أعضاء لجنة المسرح اجتماعهم بتاريخ ٧٢/٣/٨ لمناقشة موضوع قضية مسرحية «ثأر الله» وكم كان بودنا أن تشهدوا هذه الجلسة لتثروها بمناقشاتكم البناءة وكلنا أمل فى حضور الجلسة القادمة الساعة ١٢ ظهرا الأربعاء ٧٢/٣/١٥ ومرفق هذا محضر جلسة ٧٢/٣/٨ واللائحة الداخلية لمكتب الفنون الشعبية ..

كما نرجو التنبيه بموافاتنا ببيان لبعض النقاط التى عن للجنة أن تسفر الهيئة فيها:

١ ـ صورة من رأى الأزهر فى المسرحية.

٢ ـ بيان موقف الأزهر وحكمه وعلى أى قاعدة يتم هذا الحكم فى مثل هذه النصوص. وما الموقف الشرعى للجهات الدينية وسلطات الهيئات الأخرى فى الحكم على الأعمال المسرحية عامة.

٣ ـ ماتخذته هيئة المسرح من اجراءات قبل تنفيذ الاستعدادات لعرض المسرحية وما صرف عليها من أموال ومابذل فيها من طاقات بشرية وفنية.

وتفضلوا بقبول وافر التحية والتقدير

رئيس مكتب الفنون

إمضاء: فتحى كروم

يطلب تقرير من الاستاذ/ عبد الرحيم الزرقانى.

إمضاء: سعيد خطاب

.. فبراير ١٩٧٥

قام السيد الأستاذ/ أنور أحمد بنفسه بتوصيل نسخة من المسرحية ـ بعد إجراء تعديلات بها إلى مجمع البحوث الإسلامية ولم يرد عليها حتى الآن.

(طبق الأصل من نص تقرير المسرح القومى عن سير العمل بالمسرحية)

١٩٧٨/١٢/١٨ .. الأزهر ـ مجمع البحوث الإسلامية.

السيد/ مدير المسرح القومى.

السلامعليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

فقد نشر فى صحيفة الجمهورية بالصفحة الثامنة بتاريخ ١٩٧٨,١٢/١٦ تحت عنوان سميحة أيوب تحسم قضية الموسم «ثأر الله» تعرض باسم كرم مطاوع.

وإدارة البحوث والنشر بالأزهر تحب أن توضح لكم الآتى:

١ ـ سبق أن تقدم المسرح القومى بالمسرحية المذكورة ١٩٧١/١٢/١١ للأزهر لفحصها. وابداء الرأى فى عرضها.

٢ ـ لم يصرح الأزهر بعرض هذه المسرحية للملاحظات العديدة فى جوانب كثيرة على تلك المسرحية.

٣ ـ أبلغ الأزهر رأيه هذا إلى المسئولين بوزارة الثقافة والاعلام فى حينه.

٤ ـ استجاب المسئولون ـ عن اقتناع ـ برأى الأزهر ومنعوا عرض المسرحية بعد الاطلاع على تقرير اللجنة التى شكلها نائب رئيس الوزراء للثقافة والاعلام آنذاك.

٥ ـ المسرح القومى له علم ودراية بكل ماسبقت الإشارة إليه ـ وكان طرفا فى الموضوع، هذا ولايزال الأزهر عند رأيه فى منع عرض هذه المسرحية.

وإدارة البحوث والنشر بالأزهر تأمل أن يكون التعاون بين الأزهر والمسرح القومى فيما يعود على الإسلام والعروبة بالخير والنفع وإبراز المفاهيم الإسلامية والأمجاد العربية التى يزخر بها تاريخنا المجيد.

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

مدير إدارة البحوث والنشر

د. عبد المهيمن محمد الفقى

محضر الجلسة الطارئة

لمجمع البحوث الإسلامية الرقم (٧٦)

انعقدت الجلسة فى الساعة الحادية عشر من صباح يوم الثلاثاء ٧ من المحرم سنة ١٣٩٢ هـ الموافق ٢٢ من فبراير سنة ١٩٧٢ بقاعة الاجتماعات بإدارة الأزهر برئاسة فضيلة الإمام الأكبر محمد محمد الفحام شيخ الأزهر ورئيس المجمع وبناء على دعوته وبحضور السادة الأعضاء:

١ ـ السيد الأستاذ الدكتور إبراهيم اللبان.

٢ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور بدوى عبد اللطيف.

٣ ـ فضيلة الأستاذ عبد الجليل عيسى.

٤ ـ السيد المستشار عبد الحليم الجندى.

٥ ـ السيد الأستاذ عبد الحميد حسن.

٦ ـ فضيلة الشيخ الأستاذ عبد العزيز عيسى.

٧ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ على الخفيف.

٨ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ على حسن عبد القادر.

٩ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أحمد أبو زهرة.

١٠ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أحمد فرج السنهورى.

١١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ محمد خاطر محمد الشيخ.

١٢ ـ السيد الأستاذ محمد خلف الله أحمد.

١٣ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار.

١٤ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضى.

١٥ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ محمد على السايس.

١٦ ـ السيد الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام.

وأعتذر عن عدم الحضور كل من :

١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقورى.

٢ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ حسن مأمون (لمرضه).

٣ ـ الشيخ الأستاذ الدكتور سليمان حزين.

٤ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود.

٥ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور محمود حب الله (لمرضه)

وتغيب لوجوده خارج جمهورية مصر العربية:

١ ـ السيد الدكتور عثمان خليل عثمان.

وقام بأعمال السكرتارية الأساتذة:

يحى هاشم فرغل ـ عبد الرحيم خطاب ـ فهمى عبد اللاه ـ محمد عبده البحيرى.

كما حضر الجلسة فضيلة الشيخ عبد المهيمن الفقى.

عن إدارة البحوث والنشر بالمجمع افتتح الجلسة باسم الله وبحمده والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلك فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد محمد

الفحام شيخ الأزهر ورئيس المجمع. مرحبا بالسادة الأعضاء شاكرا لهم استجابتهم لدعوته لحضور هذه الجلسة الطارئة.

وذكر فضيلته أن الغرض من عقد هذه الجلسة هو النظر فى ابداء رأى المجلس فى عضر مسرحية على الجماهير بعنوان «ثأر الله» تأليف الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى تتعرض لحقبة هامة من التاريخ الإسلامى، كما تعرض لشخصية الإمام الحسين والسيدة زينب وغيرهما من آل البيت وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين.

وهى شخصية ينظر إليها العامة والخاصة من المسلمين نظرة الاجلال والإكبار، ويستلزمها القدرة على مجال السلوك والتشريع.

وأعطى فضيلته الكلمة لفضيلة الدكتور عبد الرحمن بيصار عضو المجمع وأمينه العام، ليعرض على السادة الأعضاء الحضارين تفصيلات الموضوع وتطوراته، تمعيدا لابداء رأى المجلس فيه.

وتكلم فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن يصاو فأشار سيادته فى كلمته إلى ثلاث مسائل: المسألة الأولى تتعلق بإجراءات للأمانة العامة واتصالاتها التى قامت بها ـ قبل عقد هذه الجلسة.

المسألةج الثانية: الرأى الذى يتعلق بتمثيل الشخصيات الإسلامية بصفة عامة.

المسألة الثالثة: الرأى الذى يتعلق بعرض المسرحية المعروضة للفحص بصفة خاصة.

فى المسألة الأولى: ذكر فضيلته أن إجراءات الأمانة العامة واتصالاتها جرت على النحو التالى:

(١) فى ١٩٧٠/٧/٨تقدم الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى بمسرحيته « الحسين ثائرا » راجيا من المجمع فحصها والموافقة على ضهورها على المسرح، وقد عرِ المؤلف فى هذه المسرحية لمرحلة الخلاف والصراع الذى قام بين الإمام الحسين رضى الله عنه، وبين الدولة الأموية. ووقف المؤلف فى مسرحيته إلى نقطة وصول الإمام الحسين رضى الله عنه إلى شاطىء الفرات بمن معه مستعدا للقاء عسكر الدولة، وقد أرفق المؤلف بمسرحيته تعهدا كتابيا بخطه جاء فيه النص التالى:

كلما تعين أن يظهر الحسين أو السيدة زينب ظهر الراوى أو الرواية ليلي كل منهما الكلام المسند إلى الشخصية فى المص المطبوع مسبوقا بهذا القول:

قال الحسين.. أو قالت السيدة زينب وهكذا... ويتكرر هذا بالقدر الذى يرسى فى ضمير المشاهد أنه يرى ويسمح راويا وراوية، وبحيث لايخل فى الوقت نفسه بقدرة المشاهد على النفعال.

حولت إدارة البحوث والنشر بالأمانة العامة للمجتمع هذا النص فى ١٩٧٠/ ٧/١١ إلى الأستاذ عبد المنعم النمر لفحصه. وبناء على تقرير الفحص كتبت الإدارة إلى المؤلف كتابها المؤرخ فى ١٩٧٠/٨/٤ اشترطت فيه لكى يصرح بالعرض أن تجرى بالنص تعديلات فى عديد من الصفحات، كما طلبت الالتزام بعدم ظهور شخصية الحسين والسيدة زينب رضى الله عنهما وعرض المسرحية مرة ثانية على المجمع بعد تمثيلها وقبل عرضها على الجمهور حتى يطمأن على تنفيذ الملاحظات التى أبديت.

(٢) فى أواخر عام ١٩٧١ نشرت الصحف أنباء عن قيام ممثل بدور سيدنا الحسين وممثلة بدور السيدة زينب، وقد بادرت إدارة البحوث والنشر بالمجمع بالاتصال بالمؤلف والصحيفة التى نشرت الخبر، لتذكر برأيها الذى أشير إليه فى الفقرة السابقة.

وعلى أثر ذلك عقد اجتماع بين ممثلى إدارة البحوث والنشر: الدكتور أحمد إبراهيم مهنا، الشيخ عبد المهيمن الفقى، وبين ممثلين عن مؤسسة السينما والمسرح القومى، والمؤلف، وقد انتهى الاجتماع إلى أن المسرح القومى سيقدم عملا جديدا يضم المسرحية سالفة الذكر. ومسرحية أخرى عنوانها (الحسين شهيدا) وأنه تقرر ادخال المسرحية الجديدة بعنوان « ثأر الله » فى خطة المسرح لعام ٧٢/٧١ لاعتبارات مالية وفنية وخاصة بمؤسسة السينما والمسرح.

وبذلك يكون قد صرف النظر عن المسرحية التي عرضت من قبل، ويكون الأمر محتاجا إلى عرض المسرحية الجديدة على المجمع لأخذ الرأى فيها.

(٣) فى ١٩٧١/١٢/١١ تقدم المسرح القومى إلى إدارة البحوث والنشر بالمجمع بالمسرحية الجديدة المسماة «ثأر الله» لفحصها وإبداء الرأى فى عرضها.

فحولت الإدارة النص الجديد المشار إليه إلى فضيلة الأستاذ الشيخ محمد حافظ الدسوقى للفحص وإبداء الرأى، وقد انتهى الفاحص فى تقريره إلى (أنه لاينبغى عرضها على الجمهور).

(٤) وقبل أن ينتهى الفاحص من إعداد تقريره اثيرت حملة صحفية شارك فيها الكاتب الصحفى «اميل اسكندر» تستهدف حمل المجمع على اجازة عرض المسرحية بدعوى انه اجاز من قبل عرض مسرحية «الحسين ثائرا» وهى دعوى كاذبة فى شكلها وفى موضوعها، ذلك لأن المعروض للفحص مسرحيةجديدة هذا من ناحية الشكل ولأن المجمع أبدى تحفظات جوهرية بالنسبة للمسرحية الأولى.

تصاعدت هذه الحملة التى قادها المعنيون بأمر المسرحية الحريصون على عرضها إلى حد اللجوء إلى كبار المسئولين بوزارة الثقافة والاتحاد الاشتراكى والأزهر.

فحاول هؤلاء دعوة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد محمد الفحام وفضيلة الدكتور عبدالحليم محمود وزير الأوقاف وشئون الأزهر لمشاهدة التجارب الأخيرة لتمثيل المسرحية، مستهدفين بذلك استغلال هذه الزيارة فى إيهام الرأى العام بأن الأزهر عدل عن موقفه فى عدم إجازة المسرحية. وفى الضغط على الزمانة العامة للمجمع لتغيير موقفها، الذى اتخذته وفاء لمسئوليتها الدينية والعلمية. وقد سارعت الأمانة العامة بتوضيح الموقف أمام كل من فضيلة الإمام الزكبر شيخ الأزهر وفضيلة الأستاذ الدكتور وزير شئون الأزهر كما أبلغت المسئولين عن المسرح وعن المسرحية أن مثل هذه الزيارة سواء تمت على هذا المستوى، أو على مستوى أقل منه لا تكون إلا بعد إجازة النص، وحينذاك يكون الهدف من الزيارة ومشاهدة التجارب الاطمئنان على المطابقة اللازمة بين النص وبين الأداء لا يخرج عن الاعتبارات التى تمليها وجهة النظر الإسلامية فى الموضوع.

كذلك فإن المعنيين بعرض المسرحية على الجمهور حاولوا الإسادة فى مكاتباتهم وفى حملتهم الصحفية إلى موقف المجمع من قضية حرية الرأى والفكر مدعين أن رأى المجمع فى إبداء رأيه فى هذا الموضوع ـ وهو جهة الاختصاص الأولى بحكم القانون ـ ويحاولون الحجر على حرية غيرهم فى إبداء آرائهم،

فيعتدون بذلك على حرية الرأى التى يتمسحون بها، كما يعتدون على وظيفة المجمع ذاتها، وعلى واجبه فى صيانة القيم الدينية المكفولة بنص الدستور.

وقد قدمت الأمانة العامة بمذكرة ضمنتها هذه النقاط جميعا ـ إلى فضيلة الأستاذ الدكتور وزير شئون الأزهر فى ١٩٧٢/٢/١٩ .

(٥) نتيجة لذلك:

لتكون الرأى على دعوة مجلس المجمع للنظر فى الموضوع وإبداء الرأى لتكون كلمته هى الكلمة العليا والنهائية من حيث تباين وجهة النظر الإسلامية فى عرض المسرحية.

وبانتهاء فضيلته من عرض عذع الخطوات على السادة الزعضاء توجه إلى المجلس راجيا إبداء الرأى فى الموضوع، بجوانبه المختلفة.

وتكلم فضيلة الأستاذ الشيخ محمد زحمد فرج السنهورى: متسائلا عن مدى تأثير رأى المجمع فى العرض أو عدمه، راجيا أن تتوفر الظروف الكفيلة باحترام رأى المجمع فى هذا الشأن، وهنا أشار فضيلة الدكتور محمد عبدالرحمن بيصار إلى الواجب الأساسى للمجمع من حيث إبداء الرأى. وأكد زن رأى المجمع كان ولا يزال موضع الاحترام من الجهات المسئولة.

كما أكد السيد المستشار عبدالحليم الجندى اعتقاده بأن الشك لا يتطرق إلى أن المسئولين ينتظرون رأى المجمع فى مثل هذه المسألة ويضعونه فى موضعه من الاحترام والتقدير وزعرب عن رأيه بعدم جواز تمثيل الشخصيات السلامية التى يضعها المسلمون موضع القدوة والاعتبار، ويستلهمونها مثلهم العليا فى السلوك ويأخذون عنها أحكامهم الشيوعية.

وتحدث فضيلة الأستاذ عبدالجليل عيسى: فأشار فى كلمته إلى سوابق تاريخية تؤكد موقف الأزهر وواجبه فى المحافظة على القيم الإسلامية، واستنكاره لما يقوم به بعض المغرضين ـ الذين لا تنطوى قلوبهم أو عقائدهم على شئ من الإيمان بالإسلام من محاولة إملاء الرأى فى المسائل الإسلامية كما أشار إلى سوابق تاريخية تؤكد حرص المسئولين على المحافظة على بعض القيم التى ينبغى وضعها موضع الاعتبار، دون أن يكون فى ذلك شئ من الاعتداء على حرية الرأى. وذكر فضيلته

فى هذا المجال ما حدث فى عهد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر من تدخل المسئولين بعدم إجازة مسرحية بعنوان «يوسف فى القرآن» نظرا لما فيها من إساءة المشاعر الوطنية المصرية.

ثم رجا سيادته من السادة الحاضرين زن يضعوا فى اعتبارهم أن المسرحية المعروضة لأخذ الرأى فيها تثير جانبين: أحدهما سياسى والأخر اجتماعى.

فأما الجانب السياسى فهو يتعلق بما يثيره هذه المسرحية من أحقاد لا تزال جذوتها مستعمرة بين مجموعتين كبيرتين من طوائف المسلمين تدين أولاهما لآل البيت وتضع شخصياته موضع التقديس والاحترام. وتنطوى على كراهية شديدة للدولة الأموية. وتدين ثانيتهما الدولة الزموية وترى فيها دولة إسلامية حققت للأمة الإسلامية أمجادا لا تنكر، وتستلهمها عزة المسلمين وفخارهم وأشار سيادته فى هذا الصدد إلى قصيدة تمجد الدولة الأموية لأحد كبار الشعراء المعاصرين أذيعت على الأثير فى الأيام الزخيرة ضمن برنامج الإذاعة عيون لاشعر الحديث ويتساءل سيادته: هل يراد بعث هذه الأحقاد بن النفوس مستعدة لها ـ فيزداد بذلك تمزيق الشمل وتفريق الأمة؟ فى وقت يحاول فيه قادة المسلمين تخفيف حدة هذه الخلافات، وقد تمكنوا بالفعل من إسدال ستر النسيان أو التسامح على تلك الأحقاد القديمة؟

وأما الجانب الاجتماعى الذى أشار إليه سيادته فهو يتعلق بمبدأ تمثيل الشخصيات الإسلامية وصلاحية بعض الممثلين أو الممثلات لقيامهم بتمثيل تلك الأدوار. إذا فرض جدلا جواز القيام بها ـ مهما يكن مستواه العلمى أو الدينى. بل قرر سيادته أن الأمارة الأولى لصلاحية الشخص للقيام بهذا الدور هى زن يجد من ضميره الدينى ردعا يردعه عن مجرد التفكير فى القيام به.

وانتهى فضيلته فى كلمته بعدم جواز تمثيل الشخصيات الإسلامية بصفة عامة. وإلى عدم جواز عرض المسرحية المعروضة ـ لما تضمنته من تعرض لشخصية الحسين وغيره من آل البيت ولما تضمنته من إثارة الفتنة الكبرى بصفة خاصة.

وتكلم فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أحمد أبو زهرة فأبدى استياءه الشديد من المحاولات المتكررة التى يقوم بها المسئولون عن المسرح وعن التمثيل من عرض شخصيات إسلامية لها إجلالها ومكانتها على شاشة التليفزيون أو المسرح أو غيره

من وسائل الإعلام. وذكر أن هؤلاء قدموا بالفعل شخصيات سعد بن أبى وقاص وأبى عبيدة بن الجراح، وأبى ذر الغفارى وبلال بن أبى رباح وغيرهم من العشرة المبشرين بالجنة وهم يحاولون الآ تقديم شخصيات من آل البيت، وأعلن فضيلته استنكاره الشديد لذلك معبرا عما يتضمنه هذا الاتجاه من إساءة بالغة للمشاعر والقيم والتاريخ الإسلامى. مقررا أن أمجاد التاريخ الإسلامى التى يمكن تقديمها بعيدل عن تمثيل هذه الشخصيات معين لا ينضب أمام الراغبين فى تقديمها على المسرح أو غيره ولهم فيها بديل واسع المدى والأرجاء.

ثم ذكر فضيلته أن المجتمع سبق له دراسة هذا الموضوع وإ سيادته أبدى رأيه القاطع بعدم جواز تمثيل هذه الشخصيات. وذلك فى اجتمـا ع للجنة البحوث الفقهية وطلب من المجلس الانتهاء إلى رأى فى هذا الموضوع وإعلانه وتقديمه للمسئولين، وإبراء للذمة، وقياما بالواجب.

وتكلم فضيلة الأستاذ الشيخ محمد خاطر الشيخ وذكر أنه يرى عدم جواز تمثيل الشخصيات الإسلامية ذات المكانة والإجلال والقدرة فى التاريخ وأنه يحرص على أن تكون الإجراءات التى اتخذت من الزأانة العامة معبرة عن هذا الرأى، ولن يسجل فى محضر الجلسة رد الأمانة على الإعلانات المنشورة فى الصحف من أن المجمع سبق أن أجاز عرض هذه المسرحية.

فد فضيلة الدكتور محمد عبدالرحمن بيصار مشيرا إلى الخلاصة التى قدمها فى إجراءات الزمانة العامة، مؤمدا كذب الادعاءات المشار إليها.

وتحدث السيد المستشار عبدالحليم الجندى فأكد رأيه بأن تمثيل هذه الشخصيات الإسلامية فيه إساءة بالغة لمشاعر المسلمين، وإثارة لخلافاتهم وقدحا فى بعض الصحابة أو آل البيت، وخطورة بالغة بالنسبة للدعوة، وللأمن الداخلى وللوضع الحاضر الذى تعيشه أمتنا.

وتحدث فضيلة الشيخ عبدالجليل عيسى فأضاف إلى كلمته السابقة مقارنة بين آثار الفتنة على النحو الذى تتعرض له هذه المسرحية وبين محاولة اليهود فى عصر الرسولﷺ لتفكيرهم بأن الإسلام إنما أتى ليمحو هذه الأحقاد، وأشار سيادته إلى أنه يرى أصابع اليهود من وراء الموقفين القديم والحديث.

وتكلم فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أحمد فرج السنهورى فقرر أن هذه المسرحية بما تناولته من موضوع الفتنة يجب أن ترفض رفضا قاطعا سدا لباب الفتنة وتوقيا لخطورتها الشديدة على أوضاعنا الإسلامية الحاضرة.

ورأى فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالعزيز عيسى أن التعهد الذى يقدمه المؤلف بظهور شخصية الراوى بدلا من الشخصية الإسلامية ليس كافيا فى تحقيق الهدف الذى يرمى إليه منع تمثيل هذه الشخصيات فضلا عن أن بعض المواقف تكون موحية لدى المشاهد أنه يشاهد الشخصية الأساسية.

وتحدث الأستاذ محمد خلف الله أحمد فوافق على عدم جواز تمثيل الشخصيات الإسلامية ذات المكانة الخاصة فى التاريخ الإسلامى. وأشار إلى أن للموضوع جوانب أخرى يجب أن يعنى المجمع بدراستها دراسة تفصيلية فى فرصة لاحقة. وذلك؛ نظرا لما للتمثيل من أثر هام يتميز به عن ضروب التعبير والتصوير الأخرى ـ لما يحققه من تهذيب وتثقيف ومتعة عقلية وفنية ولأهمية التمثيل كوسيلة من وسائل التربية فى الزمة ولما يشتمل عليه التاريخ الإسلامى من بطولات عقلية ونفسية وعلمية وسياسية وأنه يجب أن تعنى الدراسة التى يقوم بها المجمع ببيان حدود الشخصيات الإسلامية التى لا يجوز تمثيلها والتى يجوز تمثيلها، كما يبين آداب فن التمثيل وما يشترط له فى المجتمع الإسلامى.

ثم عرض فضيلة الإمام الأكبر على المجلس أخذ الرأى فى مسألة جواز أو عدم جواز تمثيل الشخصيات الإسلامية ذات المكانة والإجلال والقدرة من وجهة النظر الإسلامية فقرر المجلس بإجماع الحاضرين عدم الجواز.

ثم نظر المجلس فى خصوص إبداء الرأى فى عرض مسرحية «ثأر الله» للأستاذ عبدالحمن الشرقاوى المعروضة على الأمانة العامة والتى عرض موضوعها على المجلس فى هذه الجلسة.

فأعطيت الكلمة للأمانة العامة لعرض التقرير الذى أعدته عن المسرحية.

فطلب فضيلة الدكتور عبدالرحمن بيصار الأمين العام للمجمع من الأستاذ الشيخ محمد حافظ الدسوقى أن يعرض تقريره الذى أعده عن المسرحية والذى سبق تقديمه للأمانة العامة.

فتفضل سيادته بعرض التقرير، بادئا بعرض ملخص المسرحية منتهيا إلى خاتمة التقرير التى جاء فيها:

ومن هذه الخلاصة السريعة العاجلة وهذا العرض الموجز لتلك المسرحية يتضح لنا:

١ ـ أنهـا تمثل فتـرة من أحلك فتـرات الحيـاة بين المسلمين إن لم تكن أحلكها بعد فتنة قتل الخليفة عثما بن عفان.

٢ ـ أنها تناولت جمعا من الصحابة تناولا غير كريم. وإن يكن الكثير مما جاء بها احتوته كتب التاريخ ودوّن فى ثنايا السير.

٣ ـ أنها تصور قادة الجيوش أشخاصا لا يتمسكون بدين ولا تحكمهم آداب من دينهم ولا تقودهم مبادئ من أخلاقهم.

٤ ـ وفيـها تصور آل بيت الرسول مخادعين حين تقول سكينة لأبيـها فى المنظر الخامس «بايع يزيد تخادعه ثم انقض البيعة بعد».

ولقد أجهز بالسخط عليك.. فالقلب لايضمر إلا الحب لك .. فلا تروع بالذى أقول عنك فإنها كياسة السياسة .. وخذ من الاشياخ فتوى دائمة .. بقتل من شق عصا الطاعة عنك .. بقتل أولاد على أجمعين .. وكافىء المحسن من أشياخكم خير صلة . فإن عصوك فى الذى تريد .. فابعث إلينا مع البريد .. ابعث بهم مكبلين فى الحديد .. فمن هؤلاء الاشياخ؟؟

وفى ص ٥٠ فى حوار ابن زياد من عمر بن سعد بن أبى وقاص (قائدى يزيد) يكون الإغراء على قتل بالمال والامارة؟؟ وفى ص ٥٢ مشاهد يتعذر اداؤها عن طريق الحاكى لها . بل لابد فيها من تقمص شخصيات آل البيت على خلاف ماوعد المؤلف .. ثم ما هذا الذى فى ص ١٠٧ ، ١٠٨ ؟ إذ ينادى القائد شمر فى الجند مشيرا إلى خمية الحسين وآل بيته والحرب دائرة :

احرقوا الخيمة ياقوم بمن فيها ولاتبالوا .. احرقوها هكذا تشعل اصحاب الحسين .. وهنا يرد الحسين : أتحرق بيت الرسول؟ فتلك ـ لعمر أبى ـ خيمته .. أتحرق بالنار وجه الرسول ؟

ويجيب شمر : وماضرنى أن احرقه؟

ثم ما هذه العبارات :

ص ٣٨ : رأس يحى وهو قديس نبى ... ص ٤٢ وحيث يقول : انا ذا أحطم مصباح السموات العلى؟ ص ٤٧ غباء الصالحين وذكاء المفسدين ص ٥٧ فى وصف الريات خرق المحيض؟ ص ٧٤ يقول الحر لشمر: ياابن الفاعلة « الزانية » ؟ ص ٩٣ يالبن العوال على عقيبة « اجاءت بك امك من قرد أو تيس أو خنزير » ؟ ص ٩٧ الحر لشمر « ثكلتكم امهات زانيات » .

واخيرا : أو ليس بقى ادبنا العربى (جاهلية وإسلام) ميصور التمسك بالفضيلة والحق والدفاع عن المبادىء السامية حتى يلتمس ذلك فى مثل هذه الفتن العمياء ـ إن صح مادون التاريخ وماسطر فى كتب السير؟؟ ثم ما الحاجة الداهية لمثل هذه المسرحيات فى ظروفنا التى نجتازها؟ ومالقضية

٥ ـ وفيها تحريض بالاعتداء على اعراض آل البيت فى المنظر الثالث عشر ص ١٢٣ حين تقول سكينة : أخذ الرجال متاعنا وحلينا فلتعذرينى إنهم قد هددوا اعراضنا .

٦ ـ بها تصور شائه للرعيل الأول فى فترة امتلات ببقايا الصحابة وخيار التابعين ممن اخذنا عنهم ديننا وفيذلك من فقد الثقة بقدرتنا وتاريخنا فإذا بنا كالركب خاب حاديه وضل عنه الدليل .

٧ ـ وفيهانبش لقبور التاريخ واستعادة تاريخ الفتن إن صح ان احداثها كانت على مادون التاريخ وابلغ الظن انها احداث حرفت كثيرا وادخل عليها ماليس منها .

٨ ـ ثم ما المقصود من ابراز احداث هذه الفتن على خشبة المسرح ـ على فرض صحتها ـ وان احداثها كانت وفق مادون التاريخ ؟

٩ ـ ان اثارة مثل هذه الاحداث على تلك الصورة يدع عدونا يقول فينا : إن امة هذا ماضيها وذلك حاضرها، لا ينبغى ان يخشى لها بأس أو يحسب لها وبعد فإن نجاح المسرحيات إنمايقاسبمقدار ماانعكس من صادق الصور للماضى، وبقدر ماتعلج من امراض أو تقوم من انحرافات فى الحاضر ومسرحيتنا للأسف :

(١) لم تحظ بشيء من الصدق فيما عكست علينا من صور ماضينا البعيد اللهم رلا تلك الصور الشائعة الممسوخة .

(٢) ولا وصلت بنا إلى هدف من تقويم معوج أو ردع منحرف، بل لعلها وصلت بنا إلى هدف عكسى، فلما الذى يؤخذ ـ مثلا ـ من رسالة يزيد بن زياد حين يوصيه بهذه الوصية الرابعة؟ وبهذا الأسلوب : ص ٤٧ ، ٤٨ لاتبق من نسل على أحد « وخذ من الاشياخ فتوى محكمة عن الحكم فيمنفرق شمل الأمة .. ولتكن الفتوى باهدار دمه » ثم يخاطبه منافقا :

التى نخدمها؟ وما الذى تعالجه في مجتمعنا؟ اللهم إن الفتن نائمة فاحفظنا من إحيائها ونفث كربها فى الناس .. والله وحده ولى التوفيق ..

وبعد أن انتهى سيادته من عرض هذا التقرير :

رأى المجلس ان المسرحية بما تناولت من موضوع وحوار تعتبر فتحا لباب « الفتنة الكبرى » ـ كما عرفت بذلك في تاريخ المسلمين ـ وبعثا لأخطار تخريج جمهور المسلمين وفقاءهم عن إثارتها مما يمثله القول المأثور عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه « تلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا نلوث بها ألسنتنا» .

كما يرى المجلس أن إعادة مثل هذه الصورة إلى الأذهان للمسلمين فى حاضرهم بطريقة العرض المسرحية بخاصة يساعد على تفتيت وحدتهم وتمزيق شملهم وإثارة الفنية بين طوائفهم وجماعاتهم . ويحدث بلبلة فى الرأى العم الإسلامى، فوق أنه يمكن لا عدائنا من الطعن فى سلفنا واستغلال ذلك فى النيل منا .

بناء على ذلك :

قرر المجلس الموافقة على تقرير الفحص المبدئى ومنع عرض هذه المسرحية. وإبلا غ هذا القرار إلى السيد وزير الزوقاف وشئون الأزهر مع رجاء ابلاغه إلى السيد نائب رئيس الوزراء للثقافة والاعلام وإلى السيد نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ومن يرى سيادته ابلاغه ممن يعنيهم الأمر .

كما قرر المجلس تأليف لجنة من فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار الأمين العام وعضوا المجمع والسيد المستشار عبد الحليم عضو المجمع وتفويضها فى تحرير الكتاب الذى يرسل للمسئولين متضمنا رأى المجلس .

وكانت الساعة قد بلغت الواحدة ظهرا، فأنهى فضيلة الإمام الأكبر الجلسة على أن تعود للانعقاد فى جلسة عادية فى تمام الساعة السادسة من مساء يوم الأربعاء ١٥ من المحرم ١٣٩٢ الموافق أو مارس سنة ١٩٧٢ .

والله الموفق

تحريرا فى ٢٢ / ٢ / ١٩٧٢

السكرتاية الفنية الأمين العام الإمام الأكبر

... نص المقدمة المضافة بلسان الرواى والرواية

الرواى : (يظهر على المسرح فى الملابس العصرية المألفوفة) ستمثل قصة إنسان عربيثائر .. فقد تهدى إنسان العصر .. وتنير طريق القلب الحائر ... وهى تراث إسلامى، ومع ذلك فهى تهم الناس جميعا مهما اختلفت جنسياتهم ودياناتهم، فالبطل تراث إنسانى . واستشهاد المرء دفاعا عن إيمانه فيه الزسوة والقدوة، وهو فخار الإنسانية لكنهم لن تروا البطل الليلة .. سأروى عنه واظهر فى الوقت المقدور له أن يظهر وسأسبق كل كلام البطل بهذا القول :

« يقول الحسين .. وردالحسين .. فقال الحسين» ولكن ولكيلا ازعجكم اثناء العرض .. لكيلا افسد الاسترسال أو العبرة، فقد يكفى أن أذكر هذا هدة مرات لاأكثر، أنا لست أمثل هذا الدور لكنى أروى ما قال ومافعله .. فأنا راو لا غير .

الرواية : (تظهر على المسرح فى الملابس العادية العصرية .. المألوفة المحتشمة) وسأروى انا عن اخت البطل .. سأردد كلمات البطلة .. ولن تروا البطلة ابدا ليلة .. وسأسبق كل كلام البطلة قائلة :

« قالت زينب ..ردت زينب » .. ولكيلا ازعجكم اثناء العرض أنا أيضا فسيكفيكم أن أذكر هذا عدة مرات ... والمرة قد تغنى أحيانا عن عشرات أنا لست بزينب سيدتى الطاهرة القلب .. أنا لست امثل هذا الدور ولكنى رواية عنها .. رواية عنها .

فلنذكر ..

الراوى والراوية : والآن ستبدأ احداث المأساة الآنسيمثلها الأبطال جميعا إلا نحن .. فنحن سنروى عن بطليها .. سنروى ما قال البطلان .

ثم ترفع الستارة عن المنظر الأول .

ملحوظة لـ كلمات تعين زن يظهر الحسين أو السيدة زينب وفق النص المطبوع ظهر الراوى أو الراوية ليقيا الكلام المسندإليهما فى النص المطبوع مسبوقا بهذا القول « قال الحسين أو قالت السيدة زينب أو رد الحسين أو ردت السيدة زينب وهكذا » وسيتكرر هذا بالقدر الذى يرسى فى ضمير المشاهد أنه يرى ويسمع راويا وراوية أو بحيث لايخل فى الوقت نفسه بقدرة المشاهد على الانفعال .

هوامش
وتعليقات

(١) حدثنى عبد الرحمن الشرقاوى طويلا عن قصة الطبيب الذى انحرف فى صباه فى التعليم لظروف طارئة، وقد كان يمكن أن يضيع خاصة بعد أن اتهم بالسرقة، لولا أن قيض له الأب ـ والد الشرقاوى ـ فانتشله وعلمه وأثمر جهده عن حصول الصبى على درجات عالية فى التعليم الاعدادى ثم التعليم الثانوى، ثم ادخل إلى كلية الطب ليتخرج طبيبا مشهورا مقيما الآن بالإسكندرية .

ورفض الشرقاوى أن يصرح باسم الطبيب .

(٢) القصيدة من دايوان (من أب مصرى)، وقد نشرت لأول مرة بالقاهرة عام ١٩٤٥، بعنوان (هذا الربيع !!)، يقول فيها :

ـ لاياأبى .. ان المدينة غير ماعرفتنيها
ان المدينة طفلة حمقاء تسخر من ابيها
لاياأبى أن المدينة غير هاتيك المساجد
أنا لم أجدها فى الكنائس والمساجد والمعاهد
أو فى المناسك والمعاهد
الحسن فيها فى الطريق مبعثر فى حيث سرت
وطرائقى ليس بها عوج وليس بهن أمت
الحسن يمرح فى القصور الشامخات التافهات
وعلى صدور الغانيات .. وفى انسياب المركبات
واراه حتى فى زحام المحكمة
هو فى العيون الدامعات وفى الشفاه الباسمة
واراه فى الأزقة والبيوت الشاحبة
وتساقط الاحجار منها كالحياة الذاهبة
واراه فى جوف الخرائب تسكن الاشباح فيها
وبها خلائق يطعمون جوى المنى هم قاطنوها

وبكل شبر من تراب هاهنا قصص رهيبة
وبكل جزء من هواء ثم أهواء مريبة
وهنا اللذائذ ياأبى والجوع والحرمان تمسى
متجاورات كلهن ... ومأتم بجوار عرس
ومنعمون، وكادحون .. ورأسمالى وعامل
وهنا التفاريق الشواسع والاعاجيب الخوابل
المالك الطاغى يواجه قصره كوخ الأجير
هذا له الله .. وذاك له التنعم والسرور!
وهنا التباغض والتنافر والضغينة والحسد
حتى الأخوة لم تعد صنو الوداد ولم يعد
وأنا أساء ولا أسيء - وهل اسيء إلى حبيب
ماذاك عن ضعف .. ولكن عفو جبار أريب
وهنا ضمير الناس مضطرب .. يكاد يفيض شرا
ابتى لقد ثقل الهواء هنا فما اسطيع صبرا

***

لاياأبى إن المدينة غير ماعرفتنيها
إن المدينة طفلة حمقاء تسخر من ابيها

***

ابتى وحبك واحترامك فى دمى وعلى فمى
عودتنى العطف الرحيب فما سكبتك عن دمى
هذا دمى والحسن يهدوه وهاأنا استجير
خذنى إليك .. اعيش فى بلدى واحيا كالطيور
فى قريتى وعلى مهاد أبى وأمجاد الجدود
فأنا غريب هاهنا جواب آفاق شريد

يابعـــد مـــابينى وبينك فى المشـــارب والمقـــام
أنحج للبـيت الحـرام .. ومنسكى الحـسن الحـرام؟
ابى عـهـدتك مـثل يعـقـوب وحـبك فـوق حـبـه
أنا ذا بمصـر كـيـوسف من غـيـر مـابرهان ربه
ثقل الضـــجـيج على ياابتى وأســـقـتنى المدينة
خـذنى إليك فـفى ظلال التوت ألتـمس السكينة
خـذنى إليك فـفى صـفـاء الأفق تنعـشنى الفـضـيلة
انى اكــــاد اجن من تـناسم اوحـــــال الرذيلة
خـذنى إلى البـيت العـتـيق يلفـه الشـجـر القـديم
فـــهناك تنطلق الحـيـــاة .. وثم ينبـــسط النعــيم

....

....

....

وتمضى القصيدة حتى يقول فى نهايتها مصورا هذه الدهشة التى يشير إليها:
أنا موثق بالأرض يا أبتى بقيد من حديد
كيف الخلاص من التراب أبى ومن هذى القيود؟!
(انظر: الديوان ص ١٠٣، ١١١)

(٣) من الغريب أن كثيرا من أولئك الكتاب الأمريكيين، الواعين، ادانتهم لجنة النشاط غير الأمريكى بالكونجرس فى تلك الحملة الفكرية التى استمرت قرابة ثلث قرن، والتى عرفت (بالمكارثية) وأصبحت تصوغ كثيرا من الاتهامات ضدهم.
(انظر: تقارير وزارة الدفاع الأمريكى ل ن غ أ)

(٤) المعروف أن قصيدة (من أب مصرى إلى الرئيس ترومان) نشرت فى القاهرة، فى كتاب مستقبل، عام ١٩٥٣، ثم نشرت بعد ذلك فى بيروت للمرة الثانية تحت عنوان (من أب مصرى إلى الرئيس ترومان).

وقد لاحظت أن عبد الرحمن الشرقاوى كان قد حرص أن يؤكد لى أكثر من مرة، كما حرص أن يكتب هذا فى سياق مراجعة الأسئلة الموجهة إليه، أن القصيدة كانت قد كتبت فى باريس عام ١٩٥١ (لأول مرة ووزعت فى شبه منشورات سرا بالقاهرة).

(٥) الجدير بالذكر هنا انه كان لطه حسين كتاب بعنوان (نفوس للبيع)، كتب فى مقدمته مايلى:

«رسائل تنسب إلى الجاحظ وأراها محمولة عليه، لأن تكلف التقليد فيها ظاهر».

وراح بعد ذلك فى تضاعيف الكتاب نفسه يقسم رسائله إلى

«رسائل الشكر والكفر/ رسالة الأمر والنهى/ رسالة الوشاية والوشاة/ رسالة القصد والغرور».

وهو ما يشير بالفعل إلى تأثر طه حسين ـ المؤكد ـ بالجاحظ، ونحن لا نظن أن أيا من الكتاب المعاصرين لنا لم يتأثر بالجاحظ.

(٦) ورد هذا بالفعل فى أكثر من مصدر نذكر منها الآتى:

ـ مذكرات الدكتور محمد حسين هيكل ج ٢ ص ٢٨٨

ـ محكمة الشعب: فى شهادات كل من كريم وثابت وصلاح الشاهد .. وغيرهما.

(٧) عبد الرحمن الشرقاوى ردد، أكثر من مرة، أثناء هذا الحوار، إن الإسلام لايعرف رجال الدين، وإنما يعرف فقهاء وعلماد دين، ولا يعرف سلطة دينية كهنوتية، وإنما هى «النصيحة» و «الشورى» ... إلى غير ذلك.

وأذكر أننى فى أحد، اللقاءات التى سعيت فيها إلى لقاء عبد الرحمن الشرقاوى وبعض الفرنسيين ممن اهتموا بمثل هذا اللقاء لاحظت حرص الشرقاوى على تأكيد هذا المعنى وترديده أكثر من مرة، وهذا مفصل لمن يزيد الرجوع إليه فى كتاب كل من فيليب كاردينال ولوك باربليسكو، الذى صدر فى باريس عام ١٩٨٦ بعنوان «أسئلة فى الرسلام»، وفى الجزء الخاص بفكر الشرقاوى.

وقد حرصت فى هذا اللقاء أن أقوم بتسجيل الحوار لاهميته، وقد احتفظت به ضمن الحوارات الأخرى.

(٨) يلاحظ أن عبد الرحمن الشرقاوى كثيرا مايقرن بين الفقيه قديما والمثقف حديثاً مما يشير إلى أن المثقف عنده هو وريث الفقيه ورجل الدين فى العصر الحديث، وقد راح يكرر هذا فى كثير من أعماله نخص منها كلا من:

ـ رسالة إلى شهيد

ـ الأئمة

وقد خصصت فصلا كاملا حول عالم الدين أسميته (سقوط رجل الدين) فى كتابى الذى صدر فى الفترة الأخيرة من حياة الشرقاوى (انظر الشرقاوى متمردا، دار التعاون ١٩٨٧) .

(٩) بالعودة إلى (شريط التسجيل) وأوراقى الخاصة يتأكد لى أنه دار بينى وبين الشرقاوى حوار، قلت فيه:

ـ إن قضية الحسين هى على عكس قضية مهران. الحسين رفض أن يساوم رغم أنه يعرف أن الثمن هو الموت، أما مهران فقد ساوم، ومن ثم، وقع فى المحظور، السقوط، السقوط على أثر الضعف البشرى الذى انتابه.

ومع أن موقف الحسين ومهران اسلمهما إلى الموت، فإن مهران ذهب إلى الموت غفلة أو طواعية، سيان، وفى الحالتين ذهب غيلة، أما الحسين، فقد ذهب إلى الموت عمدا، متأكدا فى مصيره، الذى سعى إليه.

وقد كان الموت ـ عنده ـ معادلا موضوعيا للنصر

وقد وافقنى الشرقاوى مباشرة على هذا.

(١٠) يمكن العود إلى (وثائق) هذه الفترة لنرى فيها تفاصيل هذه القصة، وهى قصة انتهت بمنع عرض المسرحية.

وهذه الوثائق كلها فى نهاية هذا الكتاب.

(انظر أيضا : مجلة المسرح، ربيع ١٩٨٨ ، مقالة لمصطفى عبد الغنى).

(١١) تتفق المصادر الأساسية هنا على أثر الخلاف بين الشيوعيين فى فترة الأربعينات اتفق مع بعض جماعة (المجلة الجديدة) على تأسيس جميعة ثقافية باسم (لجنة نشر الثقافة الجديدة) التى تولت اصدار مجلة خاصة كما نظمت محاضرات، فضلا عن النشاطات الأخرى.

ورغم أن هيئة التحرير فى مجلة (الفجر الجديد) ظهرت كمجموعة مستقلة من المثقفين، إلا أن وراءها كانت حلقة ماركسية صغيرة.

ومع صدور مجلة (الفجر الجديد) فى ١٥ مايو ١٩٤٥، تعاون مع أصحابها الشيوعيين عدد كبير من الكتاب والمثقفين كان من أبرزهم ـ فى تقديرى ـ عبد الرحمن الشرقاوى.

وهو ماسنصل إلى فى عرض الحديث.

(١٢) قد يكون من المفيد أن نشير إلى أن لجنة الثقافة الجديدة اتخذت مقرا لها إحدى غرف شقة متواضعة بشارع القصر العينى، وقد قامت هذه الجمعية بتنظيم عدد من المحاضرات فى المواضيع الوطنية المتقدمة، يذكر منها محاضرة لكل من:

ـ زكى هاشم: حول (ضرورة التنظيم الاشتراكى).

ـ أحمد رشدى صالح (الاستعمار البريطانى فى مصر).

والواضح هنا من حوار عبد الرحمن الشرقاوى أن هذه المحاضرات كانت تقام كل أسبوع بواسطة أحد أفراد الجماعة.

والمصادر الحديثة تؤكد أن الحركات الشيوعية لم يكن لها يد اطلاقا فى اصدرار مجلة (الفجر الجديد)، أو حتى ـ لها سيطرة كاملة فى انتقاد من شارك فى لجنة (نشر الثقافة الجديدة).

وهنا يستنتج أن عبد الرحمن الشرقاوى كان ينتمى إلى مثل هذه التنظيمات ثقافيا وتنظيما أيضا، رغم انكاره ـ فيما بعد ـ لانتمائه ككادر سياسى.

أيضا رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية البنات بجامعة عين شمس ١٩٨٩ لمصطفى عبد الغنى حول (المثقفين ودورهم السياسى ١٩٤٥/١٩٦٨)إلى قسم التاريخ الحديث.

(١٣) .. هنا أشار عبد الرحمن الشرقاوى وكرر هذا أكثر من مرة لى، فيما بعد ، أنه حين التقى بزكريا محيى الدين ـ بعد ذلك ـ فى الحج (وبالتحديد عام ١٩٧٧)، أقسم له أن ذلك لم يحدث أبدا، وماقيل من منعه من الكتابة كان كذبا صريحا لصق به ـ أى بزكريا محيى الدين ـ فى مواقف كثيرة مثل هذه.

(١٤) عند هذا الموضع طلب منى الشرقاوى إيقاف التسجيل، واستطرد، مفسرا، أنه كان ـ أى الشرقاوى ـ فى هذا الوقت، شخصية لها الوزن العالمى الكبير والمرموق، فإلى جانب اتصالاته بحركة السلام العالمية واتحاد المحامين الديمقراطيين،

وترجمت أعماله للغات كثيرة، كما كانت هذه الكتب ـ المترجمة ـ تدرس فى الجامعات الغربية.

(١٥) أفاض الشرقاوى كثيرا حول محتوى الكتاب وسمات كل من ماركس وإنجلز، من حيث اكتشافهما لقيمة الاسلام ومعانيه الجوهرية، حتى لقد فكر فى دراسته والتمعن فيه لولا أنهما تيقنوا أن ذلك لابد أن يأخذ وقتا طويلا فتركوه.

(١٦) يمكن العود لهذه القصيدة فى ديوان (من أب مصرى وقصائد أخرى) نشر ككتاب مستقل عام ١٩٥٣ بالقاهرة ثم فى بيروت فيما بعد.

(١٧) أسهب الشرقاوى كثيرا فى قضية القبض عليه ضمن حركة ١٩٤٦ لإسماعيل صدقى، وضمن عناصر أخرى مثقفة كثيرة ينتمى الكثير منها لاتجاهات غير شيوعية، وهى تهمة صدقى التقليدية، ومن ثم، مصادرة كل المجلات الثقافية والسياسية حينئذ، وقد كان الشرقاوى فى هذا الوقت رئيسا لتحرير مجلة(الطليعة) كما قال، فضلا عن مشاركاته فى مجلات ثقافية أخرى كما أسلفنا.

وقد آثرنا أن نختصر الاسهاب الطويل حول اعتقالات ١٩٤٦ التى، أفاض فيها نظرا لوجود تفصيلاتها الكثيرة فى مصادر هذا الوقت.

(١٨) وقد أضاف الشرقاوى فى (تقديمه) هذه الفقرات:

«إنها تصوير لبطولة شعبنا عبر الأجيال فى تاريخه وتصوير للملامح من المقاومة والشجاعة. برجاله ونسائه، وحتى أطفاله .. بمثقفيه وعماله وتجاره وفالحيه ، وشيوخه ورجال الدين فيه.

لقد نشرت هذه الفصول فى سنوات ماقبل الثورة ـ بين عامى ١٩٤٩ / و ١٩٥٢ .. ورأيت وأنا أنشرها اليوم ألا أعيد كتابتها أو أغير تغييرا جوهريا .. لأنها منذ نشرت لم تعد ملكا لى .. إن ظروف نشرها أيضا تمثل مرحلة من مراحل مقاومة شعبنا وأدبنا.

وأنا أدفع بها إلى المطبعة اليوم، أود أن أقدم صورا متعددة الجوانب لبسالة شعبنا واصالته .. كتبت بانفعال لحظة معينة.

ربما كان لى مآخذ كثيرة عليها من الناحية ولكنى آثرت أن احتفظ لها بنبض اللحظات التى كتبت فيها وبعض التاريخ لها .. والتاريخ دائما هو الجدار الصلد الذى نستند إليه ونحن نشق الطريق إلى المستقبل»

انظر مؤلفات عبد الرحمن الشرقاوى، الهيئة العامة للكتاب، (١) ١٩٧٨ ص ٩ .

* تصويب واجب طرحته هذه الاعترفات (ادين بكثير من عناصر التوضيح فيها للاستاذ لمعى المطيعى) إذ وجدت نفسى، فى المراجعة الأخيرة أمام سؤال محدد على كثرة الأسئلة التى طرحت طيلة ثمانية سنوات بعد رحيل الشرقاوى، وقد تبلور السؤال على هذا النحو:

هل كان الشرقاوى، منتميا للاحزاب أو الجماعات الماركسية (كادر سياسى) أم لم يزد انتمائه عن (عضو عامل)؟

فى الحالة الأولى يكون الشرقاوى قد لعب دورا سياسيا موظفا قُدراته التعبيرية لتأكيده، وفى الحالة الأخرى يكون قد لعب دورا ثقافيا موظفا قيمه السياسية لتحديده، هذا لايعنى أنه لا يمكن للمثقف أن يكون الاثنين، غير أن تحديد الاجابة عن السؤال ـ ترجيح الثقافى السياسى ـ يمنح ذاتية خاصة لصاحبها لتحديد (المشروع) الخاص به.

وهو مشروع يستمد قيمته ـ عندنا ـ من أن المثقف لايجب أن يكون (كادرا سياسيا) لطبيعة الابداع وحركته الدائبة للحركة والتغيير

تحدد في المساحة طيلة ثماني سنوات ـ بعد رحيله ـ أن موقع الشرقاوى تحدد فى المساحة التى سمحت له خلال ماكتب أو قيل أو نوقش ..

فعبد الرؤوف أبو السعد كان قد ذهب فى كتابه عن الشرقاوى عام ١٩٨٩ إلى أن الشرقاوى كان قد انحاز فى الأربعينات إلى الموقف الماركسي وهو انحياز المثقف لا الحركي دون ارتباط بأية جبهة أو جبهة ماركسية ..

فى حين راح صلاح لحافظ رحمه الله يؤكد فى عدد صباح الخير ١٢ أبريل ١٩٩٤ على أن الشرقاوى كان معه فى نفس التنظيم، وهو تردد بشكل ما اثناء محضرى نقاش شارك فيهما (أبو سيف يوسف واحمد بهاء الدين).

وأذكر ـ على المستوى الشخصى ـ حين واجهت صلاح حافظ بعبد الرحمن الشرقاوى، بهذه الحقيقة، ضحك الشرقاوى وهو يقول إنك ـ ياصلاح ـ لا تتذكر جيدا، لينصرف بسرعة إلى موضوع آخر ..

والأكثر من ذلك أن كوريل نفسه المسئول عن الحركة المصرية للتحرر الوطنى ـ حدتو ـ ذكر فى معرض مذكراته أن الشرقاوى، كان معه فى تنظيمه، ثم كان ان انفصل عن تنظيمه . وكون تنظيما آخر من موظفى مصلحة الضرائب،

وهو ماجاء بالفعل فى مذكرات كورييل ص ١٢٦ (ترجمة عزة رياض، دار سينا ١٩٨٨) وهو ما أشرت إليه فى أكثر من مقالة منشورة (اخرها جريدة الاهرام فى ١٠ نوفمبر ١٩٨٩ و ٣ نوفمبر) ـ المرفقات ـ

وقال عبد الرحمن الشرقاوى قريبا من هذا فى حديث معى (محضر نقاش فى ٢٥ فبراير ١٩٨٨): أنا لم انتم لاى تنظيم سوى فى الاربعينات، وإنه كان هناك تنظيمات سرية وواجهات ثقافية؛ كنت أنتمى لهذه الأخيرة فقط)

والشرقاوى هنا يريد أن يقول صراحة :

تنظيمات ماركسية أو سياسية نعم، ولكن كيف ؟

يجيب كعضو عامل وليس ككادر سياسى

العمل الثقافى لتحقيق أهداف سياسية

وليس العمل السياسى لتحقيق أفكار ثقافية

الثقافى قبل السياسى

الثقافى خلال مجلات وتوجهات أكثر من السياسى باية صورة

الثقافى ـ تحدثا ـ وخلال حركات جبهوية فى المقام الأول

إنه الموقف الذى حاول ـ كما فهمنا ـ أن يعبر به الشرقاوى عما أراد أن يؤمن به ويحققه سواء كان واقفا فى تنظيم شيوعى أو مجلة ماركسية أو حركة جبهوية ..

التغيير بالكلمة وليس بالفعل الحركى أو التنظيمى ويؤكد هذا الطرح الأخير أحد زملاء الشرقاوى فى أكثر من شهادة هو الاستاذ لمعى المطيعى، سواء جاءت على المستوى الكتابى (شهادة) أو الاعترافى (محضر نقاش)، سواء لنا تأكيد هذا الطرح مقالة بالأخبار فى ٢٥ سبتمبر ١٩٨٨ أومحضر نقاش مع سيادته بالمجلس الأعلى للثقافة فى ١١ نوفمبر ١٩٩٥).

فى المرة الأولى راح الاستاذ لمعى يدلل على ايثار الثقافى أكثر من السياسى حين ضرب مثلا وقت أن دعا عبد الرحمن الشرقاوى إلى (جبهة وطنية) فى عهد

أنور السادات ۱۹۷۹، وقبل ذلك، يقول أن سلوك الشرقاوى كان دائما جبهويا بالمعنى الثقافى،وحين يزيد فى تأكيد هذا يعود إلى أحد مواقف الشرقاوى عقب قيام ثورة يوليو ١٩٥٢يقول حيث أعود إلى بدايات ثورة يوليو والخوف على الديمقراطية وعلى حرية الكلمة والحرص على حقوق الإنسان المصرى... كنا ثلاثة عبد الرحمن الشرقاوى ومحمد اسماعيل محمد (يرحمه الله) وكاتب هذه السطور... فى بيت محمد اسماعيل محمد وضعنا الخطوط العريضة لجبهة تقف فى وجه الاستبداد الزاحف وفى وجه الديكتاتورية التى تتسلل رويدا رويدا.. كانت هذه الجبهة التى دعونا إليها موجهة فى الاساس، ضد السلطان وكان الشرقاوى بذاته هو واضع عباراتها المحددة وليست العامة... واخذت المنظمات السرية هذه الدعوة وغرقت فى مناقشة المسميات.. جبهة وطنية... الخ).

ونترك ما كتبه لمعى المطيعى أثناء وجود الشرقاوى إلى الأربعينات.

إن العمل الجبهوى كان أقرب عند الشرقاوى من أى عمل آخر، وهو عمل يقف بين الثقافى والسياسى، لا يرتبط تنظيميا بحزب سرى ولا يغرق تفصيلاً فى انتماء سياسى.

أن (جماعة الفجر الجديد) و (الحركة الديمقراطية) (حدتو) كانتا تسعيان إلى تأسيس عمل جبهوى مع القوى السياسية الاخرى، وهو تقليد تلائم تماما مع توجه الشرقاوى قبل ثورة يوليو وبعدها وإلى ما قبل رحيله بقليل..

المصادر الماركسية تشير إلى أن جماعة (الفجر الجديد) فى الاربعينيات كانت تستجمع نشاطها - جبهويا - حول اعداد كبيرة من العناصر اليسارية فى مقدمتهم أبوسيف يوسف ومحمد اسماعلى محمد ونعمان عاشور اضف إلى هؤلاء - يؤكد لمعى المطيعى - كان هناك أحمد رشدى صالح وصادق سعد وعلى الراعى (على الكاتب كما كان يسمى نفسه) والدكتور عبد القادر القط وتوفيق محمود وصاحب (الشمندورة) لقد كانت هذه الاسماء تعيش مرحلة (العلنية بدون سرية) أي «مرحلة النشاط الديمقراطى العلنى وترفض رفضا مطلقا أى حديث عن العمل السرى أو اقامة تنظيم شيوعى، والواقع أن العمل الجبهوى فى هذا الوقت يثير جدلا مع مؤرخى الحركات الشيوعية المصرية (على سبيل المثال رفعت السعيد وأحمد صادق سعد وأنور عبد الملك... الخ)

كما أن النشاط الثقافى العالمى اثار حفيظة كثيرة من ممثلى السفارة البريطنية، وكان مجالا عريضا لتناوله فى كثير من الاحكام الصادرة فى قضايا الماركسيين فى ذلك الوقت.

بيد أن الذى يعنينا فى هذا المجال أن عبد الرحمن الشرقاوى:

(أولا) ارتبط بالحركة الديمقراطية عن طريق إبراهيم عبد الحليم

(ثانيا) ارتبط بجماعة (الفجر الجديد) واسمه ارتبط بالحركات الشيوعية وفى تنظيم عرف فيما بعد باسم التنظيم الشيوعى (د.ش) لم يكن الشرقاوى من أعضائه.

ويرى لمعى المطيعى أن هذين التجمعين (حدتو ـ الفجر الجديد) كانا يتنازعان عبد الرحمن الشرقاوى طيلة الابعينيات، ولكن فى الجانب الجبهوى، فقط، مما يحيلنا على اجابة السؤال الذى طرحناه سلفا:

إن الشرقاوى لم ينتم لتنظيم ماركسى (كعضو فاعل) وانما (كعضو عامل)/ عادى

والفارق بين الاثنين كبير.

فالعضو الفاعل (هو الكادر السياسى).

والاخر هو (العضو العادى)

وقد كان ولاء الشرقاوى، فى النهاية، ولاءً عاديا، ينتمى إلى التعبير: ثقافيا، وإلى التغيير: جبهويا .

والثقافى، الجبهوى، هنا يظل حركة مستمرة صاعدة إلى دائرة السياسى لكنه لايدخلها ابدا..

ويبدو أن ذلك كان ديدن عبد الرحمن الشرقاوى دائما.

ملحق (١) جريدة الأخبار ١٩٨٥/٩/٢٥

إذهبوا إلى الأزهر وأعلنوا الجبهة

لمعى المطيعى

الزمن يجرى ياشرقاوى ولا أحد يضمن وقوع مغامرة من هنا أو من هناك. احزم أمرك وضع يدك فى يد فضيلة الشيخ محمد الطيب النجار ومعكما جلال الدين الحمامصى ومحمود توفيق وعبد الستار الطويلة ولطفى الخولى وميلاد حنا وسعيد حيال ومحمد شطا. وفى رحاب الأزهر الشريف قلعة النضال ضد الاحتلال الأجنبى وقلعة الوحدة الوطنية فى ثورة ١٩١٩ العظيمة، وفى أى قاعة فى أى ادارة من ادارات الأزهر وتكلموا ما شاء لكم الكلام فى الجبهة الوطنية فأنتم جميعا متفقون فى الجوهر مختلفون فى اللمسات الأخيرة وهكذا الجبهات طوال تاريخها تعدد مع الوحدة ومع التعدد ولا أريد أن أنزلق إلى المعارك الكلامية حول المسميات. أخش ما أخشاه أن نغرق فى الكلاميات حول الشكليات وتضيع فرصة العمل لأننى لمست فى الأفق محاولة لتصفية حسابات قديمة بين فرق مختلفة ذات أصول ماركسية .. وهل نسيت تجربة لك فى الجبهة لها تاريخ؟

● أذكر هذه التجربة هنا ولأول مرة لأن سطورا جرت تريد أن تنال منك حين دعوت إلى الجبهة الوطنية .. قالوا أنك دعوت إلى جبهة وطنية فى ظل السادات أو مع السادات سنة ١٩٧٩ .. ويسألون عما دار بينك وبين الرئيس فى الايام القليلة الماضية .. ويريدون أن يربطوا بين دعواتك إلى الجبهة وبين السلطة القائمة الآن وفيما مضى.

وللحق وللحقيقة فإن سلوك الشرقاوى دائما سلوك جبهوى وهذا فى حدا ذاته أمر طيب أن توجد بين المفكرين وبين المثقفين المصريين شخصية لها مثل هذه الصفات .. أعود إلى بداية الفقرة، وأعود إلى بدايات ثورة ٢٣ يوليو والخوف على الديمقراطية وعلى حرية الكلمة وحرصا على حقوق الانسان المصرى ..

كنا ثلاثة عبد الرحمن الشرقاوى، ومحمد اسماعيل محمد (يرحمه الله) وكاتب هذه السطور .. فى بيت محمد اسماعيل محمد وضعنا الخطوط العريضة لجبهة تقف فى وجه الاستبداد الزاحف وفى وجه الدكتاتورية التى تتسلل رويدا رويدا ..

كانت هذه الجبهة التى دعونا اليها موجهة فى الأساس ضد السلطان وكان الشرقاوى بذاته هو واضع عباراتها المجددة وليست (العامة) ، وأخذت المنظمات السرية هذه الدعوة وغرقت فى مناقشات المسميات .. جبهة وطنية .. لا أنها جبهة متميزة .. لا أنها جبهة ديمقراطية .. لا أنها جبهة وطنية ديمقراطية .. لا أنها جبهة شعبية .. واستمر العراك الفكرى داخل السجون والمعتقلات ، وأخشى أن تتفتح شهية هذا العراك دون (العمل) بين مسميات (الجبهة الوطنية والجبهة الشرقاوية) ومع ميلاد حنا أقول (هذه المسميات لا تدفع الحوار إلى انشاء جبهة بقدر ماتولد الفرقة وتبادل الاتهامات) .

لماذا الأزهر؟

الشرقاوى وصحبه الذين ذكرتهم فى مقدمة المقال يدعون إلى الجبهة وأن اختلفت (والاختلاف وارد) تصوراتهم حتى عبارة «لطفى الخولى» وهو عضو قيادى بارز فى التجمع وتتفق مع تصور الشرقاوى لأبعاد الجبهة (الجبهة ضرورية قومية وقطرية) ولتكن من هؤلاء جميعا لجنة تدعو إلى الجبهة .. تدعو النقابات والاتحادات والشخصيات العامة وتدعو فى المقدمة جميع الاحزاب .. وليكن الباب مفتوحا لكل صاحب رأى وصاحب مصلحة فى انقاذ الوطن.

ليبدأ العمل .. ليقف تبادل الاتهامات .. وأكدت فى الداية أن أخاطب الزميل الكبير والنقيب «ابراهيم نافع» ليفتح قاعة نقابة الصحفيين لتبدأ الدعوة منها وتراجعت خشية الحساسية ازاء عضوية نقيب الصحفيين فى الحزب الوطنى الديمقراطى وفكرت أن أخاطب الصديق القديم الاستاذ «أحمد الخواجة» نقيب المحامين .. وتراجعت خشية الحساسية ازاء عضوية نقيب المحامين فى حزب الوفد الجديد. ليكن الأزهر الشريف إذن .. مظلة لكل عمل وطنى من أجل مصر .. فوق الأحزاب .. فوق الأفراد .. ملاذا للوحدة الوطنية .. راية دينية فوق كل الجماعات والجمعيات الدينية . لا حساسية إذن لدى أى حزب أو أى جماعة أو طائفة أو أى جمعية أو أى فرد . المهم أن يبدأ العمل وبعدها سوف يتحدد موقف كل حزب.

الخلافات المطروحة

لنكن صرحاء فى موضوع الجبهة حتى يكون الجميع على نور ..

● الخلافات التاريخية بين الفرق الماركسية لا شأن للجبهة بها وليس هذا أو أنها على الأقل ليس هذا مكانها.

● القيادة لمن؟ للوفد؟ للاخوان؟ للوطنى؟ للتجمع؟ التجمع لديه حساسية شديدة ازاء هذه المسألة ومازال البعض أسير تفكير قديم القيادة فى الجبهة للحزب الشيوعى وبتعبيره مخفف للطبقة العاملة .. الجبهة التى دعا إليها الشرقاوى جبهة مرحلية وليست على السلطة .. هى جبهة محدودة الزمان .. محدودة الأهداف .. تتسع لكل من يسعى إلى هذه الأهداف وليست السلطة أو المشاركة فى الحكومة من بين هذه الأهداف.

● الجبهة لا ترمى أبدا إلى إلغاء الأحزاب أو دمجها فى حزب واحد وأكد هذا «فضيلة الشيخ محمد الطيب النجار» وأرى أن يكون الحرص على تعدد الأحزاب فى مقدمة برنامج الجبهة .. وعندما كتب على هذه الصفحة «محمود توفيق» مقالات خمس عن رأى اليسار الوطنى فى القضايا الأساسية للعمل الوطنى ودعا إلى برنامج عام موحد يكون صالحا لمدة عشرين عاما على الأقل جاء التعليق الوحيد عليه من كاتب السطور الحالية (هذا اليسار الجديد .. وماذا يريد) فى ٧ ابريل ١٩٨٢ حرصا على التجربة الحزبية الوليدة ودعما للتعددية الحزبية:

محاولة للتصور

لتكن الأهداف ايجابى ومحدودة وليكن الأسلوب يجمع ولا يفرق..

الدفاع عن الديمقراطية ، وحماية التعددية الحزبية، والخضوع المتساوى لسيادة القانون، وحرية الصحافة ضد أى مغامرة من هنا أو هناك.

● الاكتتاب الشعبى العام لتسديد الديون كما أشار أستاذنا جلال الحماصى أو يتحمل القادرون فوائد هذه الديون.

برنامج اقتصادى محدد فى صالح محدودى الدخل مرة أخيرة .. أهداف معدودة محدودة يتسع لتحقيقها للحزب الوطنى والوفد ولكل القوى السياسية .. وكل التنظيمات .. وكل الشخصيات وكل من يرى فى الأهداف خيرا لمصر والمياه تكذب الغطاس.

ملحق (٢) جريدة الأهرام ١٩٨٩/١١/١

كتاب جديد يطرح السؤال :
هل كان منتميا إلى اليسار؟

د. مصطفى عبد الغنى

● في نفس الفترة التي يحتفل فيها الذكرى الثانية لرحيله «رحل ١٠ نوفمبر» يصدر عنه كتاب هام من جزئين .. والكتاب ، وان بدا محتفيا بعبد الرحمن الشرقاوى، فإنه يثير، فى تضاعيفه عديدا من القضايا.

فلنر الخطوط الرئيسية لهذا الكتاب قبل أن نصل إلى أهم مايثيره.

● الكتاب من تأليف د. عبد الرءوف أبو السعد، ويتبع فيه التقسيم الزمنى خلال جزئية «رؤيته .. ومراحل ابداعه الثورى ١٩٢٠ ـ ١٩٧٠» و «من الرؤية الابداعية الليبرالية إلى التوجه الإسلامى ١٩٧٠ ـ ١٩٨٧» وعلى هذا راح يربط قضاياه بنتاجه الإبداعى والنثرى عبر دوائر متوالية، ففى حين انحاز الشرقاوى للمعسكر الشرقى، وعلينا أن نفهم من ثم، لفكره الشمولى» انحاز فى الفترة التالية للرؤية الليبرالية، ثم انحازفى الفترة الاخيرة من حياته للرؤية الاسلامية. وفى حين اهتم بدائرة الذات خلال الشعر، اهتم بدائرة النضال الثورى بالقصة، وتأكيد دائرة الوطن والنضال فى المسرح، ثم انتهى ـ زمنيا وابداعيا ـ كذلك إلى دائرة الهجوم على القيم الرجعية بكتاباته الاسلامية

● بيد أنه من الملاحظ على الكتاب أن الموقف المنحاز تماما لعبد الرحمن الشرقاوى أوقع المؤلف فى عديد من الهنات التى لا يمكن اغفالها: كان يقسم حياة الشرقاوى تقسيما تعسفيا بين الاتجاهات الايديولوجية: الماركسية والليبرالية والاسلامية، أو يتناول حياة الكاتب وابداعه خلال شرائح زمنية منفصلة تحول دون رؤية «الخطاب» الرئيسى فى اطار الثابت والمتحول عبر متصل كمى واحد، أو أن يطلق احكاما فى انتماء الشرقاوى السياسى .. وما إلى ذلك ..

وسوف نتوقف عند القضية الأخيرة، قضية الانتماء السياسى ـ لنرى، كيف أن تعاطف المؤلف مع الشرقاوى حال بينه وبين تحقيق عديد من المواقف التى تؤثر فى توجه عبد الرحمن الشرقاوى وتؤكد تحوله فى كل مرة، خاصة، أن مثل هذه

القضية راحت ـ خلال مفهوم الكاتب ـ تتسلل عبر كتابه وتصبغ كثيرا من القضايا بصبغة مثالية.

وتتلخص هذه القضية في مقولة د. أبو السعد أن الشرقاوى في فترة الأربعينات خاصة «اختار المنهج الماركسى اكتفى بالتعبير عن فكرة بالقيم التعبيرية فقط دون أى دور تنظيمى حينئذ.

وهذا خطأ لا يمكن إغفاله قط ..

ورغم أن الشرقاوى نفى مثل هذا الانتماء فقال بالحرف والواحد «ونحن ننقل من «الكاسيت»:

«لم انتم لأى تنظيم في الأربعينات، وإنه كانت هناك تنظيمات سرية ولها واجهات ثقافية، كنت انتمى لهذه الواجهات فقط، (محضر نقاش معه ٢٥ فبراير ١٩٨٥).

.. رغم ذلك، فإن الجزم بمثل هذا النفى لايمكن الركون إليه بأية حال والواقع أن التنظيمات اليسارية وإن كانت تعمد بالفعل ـ في الأربعينات، وفى أول الأمر، إلى لعب دور ثقافى، فإنها كانت تضيف إليه، في فترة تالية، دورا سياسيا، كان هو الهدف الأول، غير المعلن.

وقد زاد هذا الدور السياسى خاصة بعد ايقاف اسماعيل صدقى لعديد من هذه المجلات «التى كانت تتبع تنظيمات» واعتقال ممثليها عام ١٩٤٦ ..

ويؤيد اعتقادنا لانتماء الشرقاوى سياسيا عديد من الشواهد. فصلاح حافظ ـ أحد كوادر «حدتو» النشيطة ـ ذكر صراحة «صباح الخير ١٢ أبريل ١٩٨٤» أن الشرقاوى كان زميلاً معه في نفس التنظيم، كما أكد ذلك «عبر محاضر نقاش» كل من الأستاذين أبو سيف يوسف وأحمد بهاء الدين.

وعبورا فوق علامات كثيرة تشير إلى إنتماء الشرقاوى نصل إلى رأى هنرى كوريل ـ رئيس الحركة المصرية للتحرر الوطنى ومؤسسها ـ ذكر صراحة وبالاسم أن عبد الرحمن الشرقاوى كان ضمن تنظيمه الشيوعى، مستطردا أن الشرقاوى كان قد انفصل عن تنظيمه ـ أى تنظيم كوريل الشيوعى ـ وكون تنظيما آخر من موظفى مصلحة الضرائب، وهو مادفع بكوريل نفسه إلى أن يطلق على تنظيم

تندرا اسم «الحزب الشيوعى لمصلحة الضرائب» انظر على سبيل المثال ص ١٢٦ من مذكرات كوريل «ترجمة عزة رياض» سينا للنشر القاهرة ١٩٨٨» .

●ولنترك كوريل حزينا لهذا الانشقاق لكونه كان أول انشقاق هام ـ كما يقول ـ في تنظيمه، ونعود إلى الشرقاوى مرة أخرى .. ونسأل من جديد:

فلماذا انكر الشرقاوى انتماءه لأى تنظيم سياسى إذن؟

ربما كان هذا الموقف يرتبط بالفترة الزمنية التى أعلن فيها، فهو لم يعلن عدم انتمائه قط اللهم إلا، فى الثمانينات، وهو وقت تحول فيه إلى أحد «موظفى الدولة» بتعبير جرامشى، إذ كان قد تهيأ من زمن ليس بقريب ليلعب هذا الدور، وهو يرتبط بالعامل الآخر، من إنه كان أوغل كثيرا فى الاتجاه الإسلامى سواء فى مقالاته أو كتاباته فى السير الغيرية لعديد من قادة المسلمين الفكريين ..

وهذا العامل أو ذاك يبعد به «عن الانتماء التنظيمى» القديم، مما دفع به إلى أنكار هذا الأنتماء.

●● وعلى أية حال، فإن قضية، الأنتماء، تظل واحدة من القضايا التى تحدد دور الشرقاوى وفاعليته كمثقف من حيث العلاقة بينه وبين النظام لفترات طويلة من التاريخ المصرى، وهو مالم يدرس بالقدر الكافى حتى الأن..

٣ ـ رسالة من أب مصرى
إلى الرئيس الأمريكى

يا سيدى

إليك السلام. وإن كنت تكره هذا السلام وتغرى صنائعك لكى يبطئوا بدعاة السلام ولكننى.

سأعدل عن مثل هذا الكلام

وأوجز فى القول ما أستطيع

فأنت مُعنى بشتى الأمور

بكل الأمور

وإنى لأعجب لم صوروك حديد الفؤاد بليد الشعور

وأعلم أنك تهوى الزهور

فتنشد ألوانها فى الدماء

وتمشى من الأرض فى حيث شئت لتقطف كل زهور الربيع

فتسحق أوراقها اليانعات وتنثرها فوق أرض الشقاء

وتجرى الدماء، وتبقى الزهور!

وأعلم أنك تهوى النجوم وتعجب كيف تحلى السماء

وتطلب فى الأرض سحر النجوم فتصنع لألاءها بالدموع

وأعلم أنك تهوى العطور
فتنشر فى الأرض عطر العفونه!
وأعلم أنك تهوى الحرير
فتطعم ـ فى الوحل ـ دود الخيانه
نخضرة أيامنا الزاهرات وتسقيه رونق ماء الحياة
لينفث بعض خيوط الحرير يرى البؤس رقاب العصاة!
وأعلم إنك راع عطوف يرى البؤس يلفح وجه القطيع
فينفض كالنّاحر العبقرى .. كأيّاس .. فوق رءوس الجميع!
على أننى
سألتك ـ لاضاحكا هازلا ـ فقد جمد الضِحْكُ فوق الشفاهْ
وما أنا بالسائل المستخفّ
وأنت بيمّناك سر الحياهْ
ألا تملك الذرة المفنيهْ!؟
ولكن أنا
أنا وأبنى
وفتاتى التى أجن بشوقى إليها هنا
ـ أى زوجتى ـ
وهذا الصديق، وذاك الرفيق. وكل الرفاق بناة الغد
أتملك نحن سوى التضحيهْ؟
ألا ننحنى لك يا سيدى
وأنت إله الزمان الحديد
وكالله أنت إله وحد؟!

معاذك!! بل أنت فوق الشبيه، وليس كمثلك شئ يكون
وفى الأشهر القلة الماضيات أبدت الذى لم يبد فى سنين!
ولكننى
سألتك يا سيدى.... يا إلهْ،
ويا من بيمناه سر الحياه.
أتقرأ هذا الخطاب القصير إذا ما تناولت عند الصباح
شراب الدم الساخن المستباح
بكأس تدسمه، كوريا، بذوب لخوخ ضحايا الكفاح
ويمضى النسيم على وجنتيك «برومبا» الأنين «وجاز» النواح
وهمس الجراح ؟!
ولكن لعل خطابى يريث لكيلا يروع الصباح الجميل
ونعلم أنك تهوى الصباح ندى الجراح رخيم العويل
ولست أقدم «طى الخطاب» دماء أبنتى
ولا زوجتى!
وذلك عن قلة فى الحياء
وبخل ـ يغالبنى ـ بالدماء
وذوق من الريف جاف غليظ كما يغلظ العيش فى قريتى
وما حيلتى!!
فإن لم تقم بحقوق الوفاء لحامى حضارتنا الراهنة
فهب لى خطيئى الشائنة
وبعد..
أتقرأ هذا الكلام

إذا ما تداعيت فوق الطعام

فتجرع بترول أرض «النبى» تسيغ بع بعض ما تزدرد

وبعض الطعام عصى نكد

و «مصر» وجاراتها لم تعد من اللقم الحلوة السهلة

و «فيتنام» فى الحلق كالشوكة

و «غرب أوربا» مرير المذاق شديد السخونة لا يبترد

و «إيران» تحرق خلف الأله.. فلابد لابد من جرعة

ومن أين.. هل من سوى مكة!

متى سوف تقرأ هذا الكلام سألتك يا سيدى.. بالجنون

وبالمرسلين..

بفاروق.. .. بالنقطة الرابعة

بعبد العزيز (١) ، بعبد الإله (٢).. بكل العبيد من العابدين

وبالتابعين،

وبالتابعات،

وبالمرسلات، وبالعاصفات

وبالناطحات، وبالشاطحات

وبالنازعات، وبالناشطات، وبالغارقات

وبالسابحات من الفاتنات وبالغائصات من الفاتكات

وبالسانحين من الفاتنين

متى ستطالع هذا الخطاب؟

أبعد الطعام وبعد الشراب؟

وأنت تدخن يا سيدى؟

وأنت تدخن فى مقعد؟

وأنت تدخن أعصابنا،

وتحشو «بايبك» أحلامنا.

وتلق الدخان على فجرنا.

وتسمع رنات أصفادنا.

وجلجلة القيد فى أرضنا،

وترجع أنات أطفالنا،

وفتك الغلاء بأقواتنا

وهمهمة الحزن فى دورنا

ودمدمة السخط فى قبرنا

وندب عجائزنا الثاكلات وعصف السعير بأيتامنا،

وزوجاتنا فى مهاوى الطريق يلفقن فى العيش من بعدنا،

أرامل يخفقن تحت السواد

ويضربن فى عثَرات الحداد!

يعشن على حسرة لا تزول .. على أمل عاش فى أمسنا!!

ويبصرن كل أمانى الشبا تناثرن من فوق اشلائنا

ذيول الشعاع

وهمس الضياع!

* * *

ولكنى قد أطلت الحديث ولم تدر ياسيدى من أنا

إذن سأقدم نفسى إليك .. فهل أتمنى عليك المنى؟

نشدتك ـ بالرعب ـ ياسيدى

نشدتك بالرعب لا تغضبن لأنّيَ لم تدر ياسيدى من أنا
إذن سأقدم نفسى إليك .. فهل أتمنى المنى؟
نشدتك ـ بالرعب ـ ياسيدى
نشدتك بالرعب لا تغضبين لأنّيَ لم ألق فى السجن بعد
بمجدك ما قصر التابعون
فهم مخلصون
وهم لاَ ينون ولايهدأون
ولكنها .. أزمة فى المساكن!
فقد ملأوا السجم ياسيدى فما فيه من حفرة خاليةْ
على أن ثَمّ السجن مكانا يعد ..
إذن فاطمئن .
وإن كنت ياسيدى لم أمت وما زلت ادفع ايامية
فما ذلك ـ والموت ـ إلا لأن حبال مشانقنا بالية
لكثرة ما شنقت من حقوق وتشتق من رغبات الوطن
على أنهم يفتلون الحبال!
وأقسم أنهم فى غد سيرمونى بجميع التهم:
ـ عميل الكومنفرم
ـ يدبر بالعنف قلب النظام
ـ وداعية من دعاة السلام
ـ وداهية من مثيرى الشقاق
وكم عندهم من دليل يساق!
فبالأمس قلت مع القائلين : «نريد الجلاء» فقالوا : «الجلاء» .

لأنتم عصاة ورب السماء!

ومن سوف يحمى النظام العزيز، ومن ذا سيحرس ماء القناه

إذا هجم « البلشفيك » الطغاه ؟! »

فقلنا لهم « بعض هذا الكلام فقد سم الناس هذا الكلام !

تدارون كل خياناتكم بدعوى النظام . وقلب انظام !

ودعوى الهجوم

وشتى الدعاوى التى لا تقوم ولا تستقيم

دعونا وهذا الكلام الممل

فهل قام هذا النظام العزيز على أن نجوع وان نستغل،

وأن نستذل ؟!»

فقالوا : « متى لا يطيش الشباب !»

فقلنا لهم : « اننا لانريد سوى أن نمارس معنى الحياه!

ونعمل كى يتساوى الجميع، أمن أجل هذا نسمى عصاه »

فقالوا : « المساواة ما تطلبون» ؟

فقلنا : « أجل .. يكلاب القصور »

فقالوا : إذن انتمو ملحدون!»

فقلنا: «وكيف؟ وهل قدست كلاب القصور كأهل القصور!

أمانا. أمانا كلاب القصور ... فقطمير .. أقدّسكُمْ يا كلاب

لقد مات كلبا كما عاش كلبا .. ولم يغد يوما ولىّ الإله!

على إننا ما أهنّاكمُ»

فقالوا: «كفى! .. قد عرفنا كم!

أليس الكُمنتِرْن يعطيكمو

أوامره باصطناع الفتن؟

فقلنا: «الكومنترن» !

قالوا : «نعم»

فقلنا: «ولكنه لم يعد .. فقد حل منذ ..» فقالوا «وإن! ..»

ودارت رءوسهمو من ذكاء

ـ وبعض الذكاء يثير الرثاء ـ

وقالوا : فهذا دليل إذن !

لئن لم تكن صلة بينكم فكيف عرفتم إذا كان حلْ؟

لأنتم تريدون قلب النظام فمأواكم فى ظلام السجون،

وإن يكن العدل أن تعدموا» : فقلنا لهم : «إننا معدمون!

ولن نخسر اليوم غير القيود ..! ولكن بأى قضاء نساق!»

فقالوا : «قضاء النظام الرشيد!

ألستم تُسَمُّون تلك الحالات من سفلة الناس بالكادحين

وهل بعد هذا دليل يساق؟»

فقلنا .. «ولكنهم كادحون

ونحن نسمّيهُم الكادحين لأنهم وحدهم يكدحون

ونحن نسميكُم الحاكمين لأنكم وحدكم تحكمون»

فقالوا : «أما نحن بالغاضبين ..

أو المترفين؟»

فقلنا : «بلى! انكم مترفون .. إنكمُ القلة الغاضبون

إليست حقائق أيامكم من الترف الفاجر المستبدَ
ألا تغضبون طعام الجياع وتحيا خيولكم فى رغدْ !!

* * *

على أن هذا حديث قديم
ولكننى يا إلهى .. الرحيم
خشيت وثوبك بالتابعين
وأتباعهم تابعى التابعين
وهم مخلصون
وهم طيبون
وهم لا ينون
ولا يهدأون فلا تغضب
ولا تعتب
فكم لك فى أرضنا من نبى
كثيرون فى زمن واحد .. وهاتيك معجزة لم تكن
نبيُّون همَّتهم لا تحَد .. على انهم يقبضون الثمن!
ولكنهم اذكياء القلوب رقيقو الشعور رهيفو العيون
وقد ملأوا كل ايامنا حديثا بآياتك البينات
فأنت إذا شئت تُجرى الرياح ، وإن شئت تقتلع الراسيات
حكمت على الصين ألا تكون ـ فصارت هباء كأن لم تكن !!
وأنت أبدت «بكوريا» الحياة بقنبلة وزنها ألف طن!!
وصرت «بيونان» فَالكانها
وارجعت للشمس يابانها

وليت «مدريد» ثيرانها

وخاتلت مصر وسودانها

وأنت أقمت «بروما» الأمور وامسكت ميزانها فاطمأنَ

وفى ذوقك الراذع المنتقى تُوشّى لمصر الكفنْ

وأشهد كم روّج الانبياء هنا لاقتدارك فى كل فنْ

بأمرك تضطرب الحادثات وباسمك يمضى ركاب المحنْ!

* * *

على إننى قد اطلت الحديث ، ولم تدر ياسيدى من أنا

ولكن أنا .. أنا من أنا ..!؟

.. وُلدْتُ لعشرين عام عامٍ مضت على مطلع القرن ياسيّدى

وقد فرغ العالم المستجير من الحرب .. ثم مضى آمنا:

يوزّع أسواقه الباقيات

ويهزأ بالموت والتضحيات

وبالذكريات ..

وقامت شعوب تهز الظلالم بمشرق أحلامها الهائلةْ

وتعُلى على خربات الفساد بناد مدينتنا الفاضلة

فلما بدأت أعى ما يقال رأيتهم يملأون الطريق تهز الفؤوس ركود الحقول وتغلى بما تحتويه العروق

وكانوا يقولون : «يحيا الوطن»

حفاةً يهزون ريح الحياة ويستدفعون شراع الزمن

وساءلت أمّىَ عما هناك «ماذا دهى القرية الساكنةّ»

فقالت : بنىَّ هم الإنجليز يثيرون أيامنا الآمنة

وقد أخذوا كل غلأتنا .. وقد نضب الماء فى الساقيه

ولم يبقى شئ على حالة سوى حسرة مُرة باقية؟»

.. ولما كبرت لبست الحذاء ووليّت وجهى إلى القاهرةْ

فأبصرت من تحت ثقل السلاح وجوههمُ الجبهة الحائرةْ

وكنت أراهم وهم يركلون فتى فى طريقهم .. أو فتاهْ

وقد يتزعون حجاب امرأة.

فتصرخ «ويلى من الإنجليز»

وقد يعبثون بشيخ عجوزْ

فيملأنى الرعب مما أراه ــ ويزهق سمعى ــ ما لم أره

* * *

وعدت مع الصيف للقرية

لألقى رفاق الصبا كلهم

وتسأل أمىَ : «ماذا رأيت هنالك فى طريق القاهرةْ؟»

فقلت لها «قد رأيت الجنود من الإنجليز»

فقالت : «نعم!!»

فقلت : «وكيف ؟!» فقالت: «كذا!» وفى عينها دمعة تضطرم

ولا تنسجم

وفى صدرها زفرة حائرةْ

وفى وجهها حسرة ثائرهْ!

وقال الرفاق: «ألا قل لنا بربِّك ما هذه القاهرهْ»

وكيف تسير عليها الحياة ويمشى الصباح بها والمساء

وكيف إذا غربت تُضاء المصابيح أم لا تضاء؟»

وكيف الشوارع ؟ ! هل من زجاج ؟! وكيف يقوم عليها البناء»

فقلت لهم: «قد رأيت القصور!»

فقالوا : «القصور؟؟!! وماهذه؟ .. فإنا لنجهلها يا ولد»

فقلت «اسمعوا ياعيال .. اسمعوا .. القصر دار بحجم (البلد!»

فحكّوا القفا وهمو يعجبون

ومدّوا رقابهمو سائلين

وهم خائفون:

«وهل يسكن القصر جنٌّ يطوف طواف العفاريت حول القبور

وهل كنت تمشى بجنب القصور؟

ألم يركبوك ؟!

ألم يخنقوك!!؟»

فقلت لهم : إن أهل القصور أناس .. سوى أنهم..»

« ــ مثلنا ؟»

وظلوا يضجّون حولى : «أناس؟ أإنس همو؟ أهمو مثلنا؟!»

فقلت لهم «إن أهل القصور أناس .. سوى أنهم .. غيرنا!»

* * *

ويأتى الخريف بأشباحه ، وتمشى التعاسات فوق الحقول

فأمضى لأطلب علم الكتاب وعلم الكتاب لدينا هزيل

وندرس «جغرافيا» ذات عام، ونعرف كلَّ مناخ الدول

وألمح فى «أطلسى» دولة ومن فوقها حُمرة تشتعل

ولم يك أستاذنا قد اشار إليها، وقد فرغ المنهج

فخيلَ لى أنه قد نسى

وقلت له : «قل لنا ما المناخ، وكيف التضاريس فى روسيا»
فقال وقد جحظت عينه من الرعب: «ما تلك يا أهوج»
وخيل لى أننى قد غلطت فقلت «أليس اسمها روسيا؟»
فزمجر وهو يقول «اخرسِ» !
فلم أنبسِ ..
.. ولكنه بعد حين أتانى، وقد أوشكت عينه تخرجُ
وقال وفى صوته رهبة : «أجبنىَ .. كيف عرفت اسمها؟»
فقلت له : «هى فى أطلسى»
وثَمَّ أشرت إلى رسمها
فقال: «لقد فرغ المنهجُ
ففيم تساؤلك المحرجُ؟
لئن شئت فاشطب على رسمها
فإنى لأجهل أىَ الرياح تهبَ عليها»
« ـ على روسيا؟»
« ـ أجل ! .. لا تعد بعد ذكرَ اسمها»
فقلت : «وهل روسيا هذه ..»
فقال: «تشْش .. .. إنها البلشفيك!.
« ـ وأىّ الرياح هى البلشفيك؟
وهل هى عكسيّة أم هىَ .. »
فقال : «اجلس!»
وضجّ الصغار : وما روسياَ .. وما روسياَ»
فدمدم يلعن أباءنا وأجدادنا والجدود الكبار

إلى أن تناهى إلى آدم فادركه طائف من وقار

وعاد يقول «اسمعوا يا كلاب . فهم بلشفيك ! هم البلشفيك»

وثمّ تلفّت من حوله .. وفى جسمه خبل من حذر!

فقلت له : « من هم البلشفيك؟

وهل هم قبائل مثل لشلوك؟»

فقال : «انظر!

فأنت غلام غرير العُمْرْ

وبعد قليل ستبلو الحياة، وتعرف من أين يأتى الخطر»

* * *

وفى الحق إنى لم أنتظر

فما كنت أفهم هذا الخطر

ولما رجعت إلى قريتى سألت أبى «من هم البلشفيك؟»

فصفق من عجب قائلا «لقد جنّ واللّه هذا الغلام

فمن أين يعرف هذا اكلام!»

وعاد يحدّث سّماره .. ولم تك بى رغبة فى السمر!

* * *

ولكننى قد أطلْت الحديث وكنت وعدتك أن أختصرْ

وقد كنت أحسب أن لن أطيل .. سوى أنها صرخة أختصرْ

فإن كنت ياسيدى قد أثمت .. فلى أمل فيك أن تغتفر

وإنى لأركع مستغفراً مثولى فى هيئة مزريهْ :

بجلد يصيح عليه السواد وتلفحه شمس إفريقيهْ !!

وما حيلتى .. ليس فيما لدىَّ من العلم شىء لصبغ الجلود

فأظهر لنا آية يا إلهى تسبيد السواد .. وكم ذا تُسبيدْ !

* * *

ولكنى رغم طول الحديق ووعثائه لم أقل من أكونْ

ولستُ بشئ جليل الخطر!

فدعنى أقل لك إنى أب .. أب ليس غير

وأنت أب .. وكِلانا حنونْ

سوى أن بى رقة للبنين

ولى طفلة كائتلاق الصباح

كحلم الربيع ، كهمس القبل

كنوارة فى اخضرار الحقول ينغنغ فى شفتيها الأمل

كعصفورة فى المروج الفساح

كفجر الكفاح

يلوح على ظلمات الشقاء ويحمل كل ازدهار الغد

تحاول جاهدةً أن تسير وكانت لعهدىَ لم تقعد

فحينا تلوذ إلى حائط .. فإن لم تجد فإلى مقعد

فإن لم تجد وقفت لحظة لتضرب ما حولها باليد

ويار بما رَنَّحتّها الخطأ .. ويا طالما .. وقعت .. ضاحكةْ

لتنهض عازمة من جديد..

كذلك تمضى بنا المعركة

تدرِّبها عثرات الطريق وتدفعها خبرة التجربهْ

ومن حولها معشر ينظرون وفى عينهم لهفة طيبهْ

وفى ضحكاتهمُ غربة. لكثرة ما ألِفُوا من دموع

كذلك ترنو إلينا الجموع

بكوا راحلا كان ملء الحياة ندىّ الشباب حلَىّ الربيع

تجنّحه سبَحات المنى، ويُمسْكُه الأفق المغلق

كبعض حقائق أيامنا يطاردها السأم الخانق

وما زلت أبكيه مستخفيا وأبدى لهم أننى اصطبر

وهذا قضاء من الكبرياء، ومعركة لم تزل تستعمر

على أن «عزة» ياسيّدى هى البسمة الحلوة الباقيةْ

تلوح على وجهها للجميع عذوبة أيامنا الآتيهْ

وينساب كل صفاء الحياة على وجهها كالشعاع الأمينْ

فما عرفت ما اضطرام الشقاء وما أدركت ماظلام السجونْ

فديتكِ عربيدةً لا تُبين

تدافع ألفاظها المبهمات بقهقة طفلة لاهيهْ

وتمسك أيامىَ الشادراتَ . وكم ذا شّردت بأ ياميهْ

* * *

فإن كنتُ ياسيدى قد أطلتُ، وقد سقت هذا الحديث الحزين

فإنى حزينْ

حزين شقىٌ لبعد ابنتى..

حزين أخاف عليها المصير وأنت أب تعرف الوالدين

ولست أريد لها أن تموت . فرفقا وأنت تخط المصير

أترمى حماماتنا بالنسور؟!

معاذ الأبوة يا سيدى .. فأنت أب. وكلانا حنون

ألست تصون حياة ابنتك
فهل تصنع الموت للأخريات
وإنى لأدعوك باسم الأبوة .. باسم الحياة .. وباسم الصغار
لتعقد حلفا يصون السلام ويرعى المودّات بين الكبار
فأنت أب قد صنعت الحياة ولن تصنع الموت بعد الحياهْ
لماذا إذن يا إلهى الرحيم يذيعون حولك هذا الجنون!؟
ولكن لمن كل هذا العديد؟
وتلك الحشود؟
ولكن لمن كلّ هذا الهزيم؟
لمن هذه النافثات السموم؟
لمن هذه الناشرات الجحيم؟
لمن تسرق اليوم أقواتنا لتصنع ماشئت من فاتكات؟
لمن تحشد اليوم فى السابحات، وفى الغائصات، وفى الطائرات
وفى الناشطات
لمن هذه الذاريات الحطام؟ .. لمن؟ ... ولمن هذه النازعات ؟؟!!
لمن كل هذا ؟! لغزو السماء؟ .. لتصنع معجزةً ؟!
بل لنا
لتحطيمنا
لتجحويعنا
لتخزيننا
لتقوى سلاسل أصفادنا
ليرتفع السور من سجننا

لنشر السواد على أرضنا
لتمزيق أجساد أطفالنا
لتمزيق أجساد أطفالنا !!؟؟
ولكن .. كفى! لن تنال إبنتى
وأقسم أن لن تنال ابنتى!
أتطفئ أطرافها الناعمهْ ؟!
أتجرى دماء ابنتى فى غد كنافورة ثرّة تنكسب
أتنثر أشلاءها اليانعات على حيث تضحك بين اللعب؟!
أتمزج لحم ابنتى بالتراب!!
كفى أيهذا الإله الذى يلطّخ بالوحل طهر السحاب!!
أتنهش هذا الكيان النّضرْ!
كفى أيها الهمجىّ الرهيب!!
كفى أيهذا الإله القذر!
إله يبول على التضحيات ويبصق فوق قبور البشر
يُضمّخ لحيته بالدماء وتُرْقصهُ أنّهُ المحتضرَ
ويسخر من ذكريات النضال ويهزز بالأمل المزدهر
كفى أيها الهمجى الرهيب ..!
ويا لفحةً من بقايا ذنوب
ويا خفقة من هوىً الغروب
فليست دماء ابتى كالنبيذ.. وليس نبيذاً دماء الشعوب

* * *

ستحيا إبنتى فى ظلال السلام. وتنعم باللعب الوافره

تمارس كلّ حقوق الحياة حقوق طفولتها الزاهرة

ستحيا انطلاقاتها كلّها وأحلامها الحلوة الشاعرة

وأقسم أن لن تصير ابنتى غدا طفلة لشهيد قضى

أتسمعنى أيها الهمجىّ!! ستحيا ابنتى فى ظلالى أنا

كأسعد ما نتعاطى الحياة

أتسمعنى أيّهذا الإله

ستحيا ابنتى فى ظلال السلام

وتصبح أنت مع التابعين هواجس من ذكريات الظلام

فإن تملكوا الذرة المفنيهْ

فانا لنمتلك التضحيةْ

ونمتلك الذرة البانيهْ

ونملك طاقاتنا كلها ونملك أيامنا الباقيةْ

وتاريخ أجيالنا الآتية (١)

نشرت فى كتاب مستقل سنة ١٩٥٣ بالقاهرة، ثم بيروت تحت عنوان خطاب مفتوح من أب مصرى إلى الرئيس ترومان. وقد كتبت فى باريس سنة ١٩٥١.

●● لمصطفى عبد الغنى

- مؤرخو الجزيرة العربية : دار الموقف العربى، القاهرة ١٩٨٠ .
- المؤثرات الفكرية فى الثورة العربية : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٢ .
- شهر زاد فى الفكر العربى الحديث :

  الطبعة الأولى : دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٥ .

  الطبعة الثانية : دار شرقيات ، القاهرة ١٩٩٥ .
- الحصار : مسرح شعرى ، هيئة الكتاب ، القاهرة ١٩٨٤ .
- الخروج من المدينة ، مسرح شعرى : الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ١٩٩٥ .
- اللاعب : مسرح شعرى ، هيئة الكتاب ١٩٩٦ .
- الوداع .. ترجمة آخر أشعار اراجون ، هيئة الكتاب، القاهرة ١٩٨٦ .
- فى دائرة النقد : قطاع الآداب بالمركز القومى للفنون التشكيلية ، القاهرة ١٩٨٦ .
- الشرقاوى متمردا : دار التعاون ، القاهرة ١٩٨٧ .
- اعترافات عبد الرحمن الشرقاوى : المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ١٩٩٦ .
- طه حسين والسياسة : دار المستقبل الإسلامى ، القاهرة ١٩٨٦ .
- تحولات طه حسين : هيئة الكتاب ١٩٩٠ .
- طه حسين وثورة يوليو ، دار التراث الإسلامى ، القاهرة ١٩٨٩ .
- المسرح المصرى فى السبعينات (١) : هيئة الكتاب ، المكتبة الثقافية ، القاهرة ١٩٨٧ .
- المسرح المصرى فى الثمانينات :

  الطبعة الأولى : دار الدفاء ، القاهرة ١٩٨٤ .

  الطبعة الثانية : هيئة الكتاب ، القاهرة ١٩٩٥ .
- البنية الشعرية عند فاروق شوشة : هيئة الكتاب ، القاهرة ١٩٩٢ .
- المثقفون وعبد الناصر : دار سعاد الصباح ، القاهرة ١٩٩٢ .
- زكى نجيب محمود : (سلسلة نقاد الأدب) ، هيئة الكتاب ، القاهرة ١٩٩٢ .

ـ الخروج من التاريخ (دراسة فى مدن الملح لعبد الرحمن منيف) ، هيئة الكتاب ، القاهرة ١٩٩٣ .

ـ نجيب محفوظ الثورة والتصوف ، هيئة الكتاب ، القاهرة ١٩٩٣ .

ـ الاتجاه القومى فى الرواية ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ١٩٩٤ .

ـ نقد الذات فى الرواية الفلسطينية ، دار سيناء ، القاهرة ١٩٩٤ .

ـ الجبرتى والغرب (دراسة حضارية مقارنة) هيئة الكتاب ، القاهرة ١٩٩٥ .

ـ عنصر المكان عند أبى سنة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ١٩٩٦ .

ـ الجات .. والتبعية الثقافية : (تحت الطبع) .

ـ أحمد بهاء الدين : دار الهلال (تحت الطبع) .

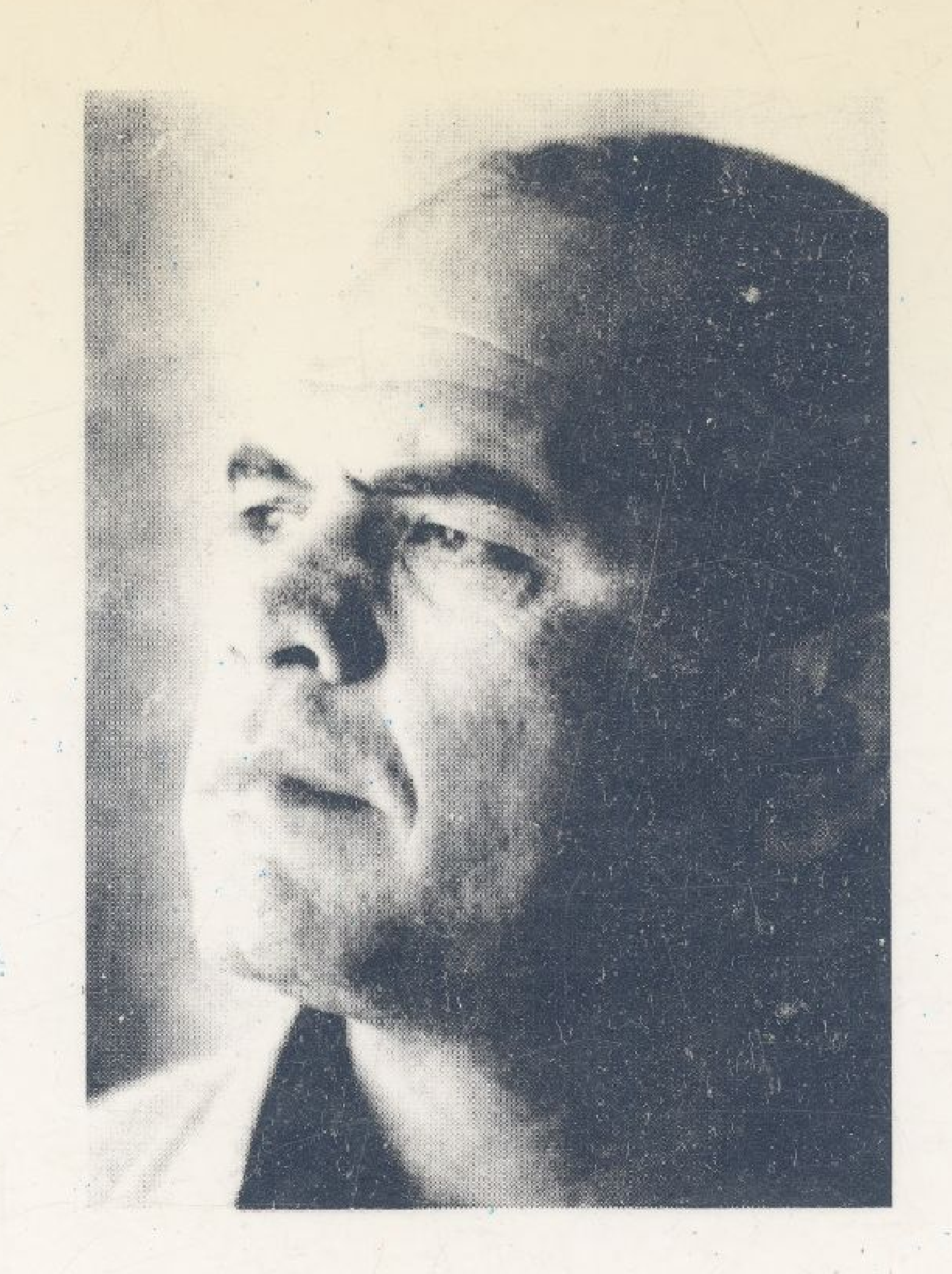
ـ نقدنا الرواية فى نهاية القرن العشرين فى مصر : (تحت الطبع) .

فهـــرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٩٠٧٦/ ١٩٩٦

ISBN 977- 235 - 647- 3



ليس هذا الكتاب هو الأول عنه .. بل سبقه كتاب آخر بعنوان (عبد الرحمن الشرقاوى متمردا / الدلالة الذاتية والاجتماعية . دار التعاون ١٩٨٧) ، والكتابان لهما هدف واحد هو ، التعبير عما يحدث فى المجتمع ، وقد استخدم كل كتاب أسلوبه الخاص.

حاول الكتاب الأول البحث عن التقنية الفنية التى تحاول - عبر الأدوات المعرفية - الوصول إلى الدلالة والتعبير عنها فى الوقت نفسه ، ومن ثم سبقت الدلاله البحث عن الشكل ومحاولة التعرف منه على هذه الدلالة.

أما هذا الكتاب ، فإنه يعود مرة أخرى ، ليقدم هذه الدلالة عبر اعترافات المؤلف ليرى إلى أى حد أسهمت فى تكوينه الفنى.

وها نحن نعود - ثانية - بعد أختبار البنية الفنية ومعطياتها إلى البنية الدلالية - كما يقدمها المؤلف بنفسه - وليس معنى هذا أننا أعتمدنا على المؤلف للتعرف على الأيديولوجية الفنية الخاصة به وإنما أفدنا منها دون أن ندعها تؤثر فينا فقط.

وربما كان لمنهج (البنية التكوينية) فضل الدخول إلى عالم الشرقاوى ، والتعرف عليه ، قبل أن يقدم لنا نفسه.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

